الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى –جيجل–

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

بلاغة التورية في القرآن الكريم

سورة النساء أنموذجا

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

من إعداد الطالبتين:

- ابتسام بن الزغدة
- عقيلة كرحة

تحت إشراف الأستاذة:

- عزيزة غليمة

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ(ة)/محمد بولحية.....رئيسا
- الأستاذ(ة)/عزيزة غليمة.....مشرفا ومقررا
- الأستاذ(ة)/جمال بلقاسم.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية:

2015 / 2016 م

1436 / 1437 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

إلى من دعوناه منكسرين خاشعين فارغي الأيدي فلم يرجعنا خائبين

نشكر الله عز وجل على منحنا الطاقة لإتمام هذا العمل

و كل من أمدنا بالأمل وقدم لنا النصيحة دون ملل

كما نتقدم بخالص الشكر إلى الأستاذة المشرفة "غليمة عزيزة" التي

أفادتنا كثيرا بنصائحها وتوجيهاتها القيمة

شكر خاص لأساتذة وطلبة كلية الآداب واللغات بجامعة محمد

الصديق بن يحي – جيجل–

وعلى رأسهم الأستاذ الفاضل "محمد بولحية"

وكل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إن من بين المواضيع التي نالت حظا وافرا من الدراسة، واهتماما واسعا من الدارسين والمفكرين –قديما وحديثا– على حد السواء، موضوع البلاغة العربية بما تحتوي عليه من علوم ثلاثة هي: المعاني والبيان والبديع وما يحتوي عليه كل علم من علومها من فنون مختلفة، وبما أن إدراك سمات الكلام البليغ لا يأتي إلا عن طريق الدرس والبحث والتأمل والغوص في أعماق الكتب وبطون المؤلفات، وذلك للكشف عن شتى مراحل تطور البلاغة العربية عبر التاريخ، ومن أجل هذا تبدو الحاجة إلى دراسة البلاغة ضرورة لابد منها، فهي تكشف للمتعلم عن العناصر البلاغية التي ترقى بالكلام صعدا نحو الكمال الفني، كما تصنع بين يديه الأدوات التي يستطيع الإنسان بالتمرس عليها والتدرب، أن يأتي بكلام فصيح وبليغ. وإن وقفنا عند علم البديع فإننا سنجد فيه كل ما يحسن الكلام ويزينه، وينمقه، إما بتجنيس أو مقابلة، أو طباق أو توجيه أو تورية.

ولأن اللغة هي أساس كل الأمم والحضارات، فكيف باللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وهو الذي يحتكم إليه في الفصاحة والبلاغة والبيان، فما من نص يستطيع مضاهاة النص القرآني ذلك لأنه كلام المولى عز وجل المنزه عن الأخطاء والهفوات.

وانطلاقا من هذا كان موضوعنا الذي اخترناه للدراسة بعنوان "بلاغة التورية في القرآن الكريم"، حيث وجدنا في أنفسنا رغبة ملحة لطرق هذا الموضوع خاصة وأن فيه ما يجمع بين البلاغة والقرآن الكريم، ولا شك أنه لا يوجد نبع ينهل منه الباحث أعظم من نبع القرآن الكريم، لأنه أصل كل شيء وفيه يجد كل مفسر وباحث وأديب ومفكر وفقيه ما يغني ملكته الفكرية وما يشبع قريحته العلمية، لذلك ارتأينا أن ندرس فن التورية كأحد فنون البلاغة العربية، ونصل إلى وصف وتحليل طريقة الله سبحانه وتعالى في توصيل خطابه بطريقة جمالية بمراعاة مجموعة من القيم الجمالية لا يستطيع القارئ إهمال تأثيرها مما يفتح أمامه مجالا للبحث في دلالتها العميقة.

فاتخذنا سورة النساء كأنموذجا للدراسة التطبيقية، حيث سنحاول استخراج الألفاظ التي وردت فيها التورية مع شرحها وتحليلها، وإظهار المعنى الظاهر من الخفي.

لقد كانت لنا أسباب ودوافع كثيرة دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، سنجملها في الآتي:

1- إيماننا القوي بأن كتاب الله العزيز هو أقدس كتاب منزل، وهو خير مجال للدراسة خاصة إذا كانت دراسة بلاغية تنظر في بلاغة هذا النص.

2- إيماننا بأنه خير دليل على وجود الفنون البلاغية والبديعية وقيمتها الجمالية، هي التطبيق على كلام الله عز وجل لأنه نزل بآيات بينات وبلغة عربية فصيحة، وذلك بغية تدبره وتأمله والتفكر فيه.

3- كون أسلوب التورية من الأساليب البلاغية التي تزيد المعنى جمالا وقوة، وقد استخدمها المولى عز وجل في كتابه العزيز.

4- نقص الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، أي فن التورية في القرآن الكريم، فأردنا إنجاز بحث مفيد نضيفه إلى الدراسات البلاغية والقرآنية السابقة، وذلك للتمعن في معاني القرآن الكريم.

5- إبراز أهم الجوانب الفنية التي تبرزها التورية وتحققها في الخطاب القرآني ومساهمتها في زيادة المعنى جمالا وقوة.

6- اعتقادنا بأن المزج بين مجال البلاغة والقرآن الكريم سيوصلنا إلى أهدافنا المنشودة، وذلك من خلال انتقاء أدلة من القرآن الكريم الذي يعد من أبلغ ما قيل.

وسنحاول من خلال بحثنا أن نجيب عن بعض التساؤلات التي كانت تدور في خاطرنا طوال مدة البحث والقراءة، ومنها: ما مفهوم التورية؟ وما أهم أنواعها؟ كيف نشأ هذا الفن وما رأي الدارسين فيه؟ ما الأثر الجمالي الذي تتركه التورية في المعنى، وكيف تتجلى بلاغتها في الخطاب القرآني؟ وما هو دورها في فهم معاني القرآن وتدبر معانيه؟

ومن خلال ما سبق ذكره، رأينا أن لهذا البحث أهمية وفائدة كبيرة ذلك لأن هذا الموضوع يسمح لنا وسيسمح للقارئ بأن يطلع على الكتب والتفاسير القيمة التي اعتمدناها كمراجع أساسية في جمع المادة العلمية، بالإضافة إلى قلة الدراسات في هذا الموضوع، إذ أننا لم نجد كثيرا من الدراسات التي استقلت بدراسة فن التورية كأسلوب بلاغي في القرآن الكريم، وهذا ما سيجعله إضافة مهمة للمكتبة خاصة أننا اخترنا إحدى السور الطوال

وهي سورة النساء كنموذج للدراسة وهي التي تحتوي على فوائد وتشريعات وأحكام كثيرة، كما أننا نبتغي الأجر العظيم من الله تعالى من خلال هذا البحث وإعطائه منزلته اللائقة بين الدراسات المختلفة.

ولهذه الأهمية التي يحملها الموضوع أردنا من خلاله أن نحقق مجموعة من الأهداف لتي سطرناها منذ البداية وعزمنا على الوصول إليها ومن بينها ما يلي:

1- فهم أسلوب التورية وبلاغته في الخطاب القرآني، ومعرفة دوره في فهم القرآن وتوسيع معانيه وتدبرها.

2- معرفة أنواع التورية وجمالياتها، ومدى تأثيرها في الكلام عامة وفي القرآن الكريم خاصة.

3- دراسة سورة النساء كنموذج تطبيقي، ومعرفة مواضع التورية فيها وتبيان معانيها وجمالياتها.

4- ربط الدراسة البلاغية الحديثة بالقرآن الكريم من خلال إبراز أهم الجوانب الجمالية والبلاغية والفنية التي تتركها هذه الأساليب في الخطاب القرآني.

5- التأكيد على أن القرآن الكريم يتميز عن غيره من الخطابات الأخرى وذلك في استعمال مختلف الأساليب البلاغية بأرقى الطرق والمعاني.

6- كما نهدف من خلال بحثنا إلى توسيع مثل هذه الدراسات البلاغية القرآنية والوصول إلى مستويات أعلى والتفصيل فيها بشكل يجعلها تغني المكتبة وتشريها بمراجع علمية جديدة.

7- التأكيد على مدى التناسق والانسجام الكبير بين المعنى واللفظ في الخطاب القرآني الكريم، ودقة اختيار الألفاظ المناسبة لكل معنى من المعاني.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف المنشودة لابد من إتباع منهج معين، فلكل موضوع منهج يتماشى مع طبيعته، ولذلك اعتمدنا على المنهج التحليلي الوصفي في دراستنا، حيث وجدناه مناسبا ومعينا لنا في البحث كما قمنا بتحديد القيمة الجمالية للتورية.

وقد وضعنا خطة محكمة للسير عليها في إنجاز البحث قسمناها إلى مقدمة ومدخل وفصلين، أحدهما نظري والآخر تطبيقي ثم أنهينا بخاتمة، فالمدخل اخترنا له عنوان: "تحديد المصطلحات"، وفيه قمنا بضبط كلي

للمصطلحات المرتبطة بموضوع البحث من مثل: البديع، الأسلوب، الخطاب، النص، القرآن ... إلخ، أما الفصل الأول وهو فصل نظري فكان عنوانه: "أسلوب التورية في البلاغة العربية والقرآن الكريم".

وفيه تطرقنا إلى مفهوم التورية في اللغة والاصطلاح، ونشأتها، ثم أنواعها، إضافة إلى بلاغتها وعلاقتها بالفنون الأخرى ورأي العلماء فيها، وأخيرا جمالية التورية، وفي الفصل التطبيقي اتّخذنا سورة النساء كأنموذجا للدراسة وكان عنوانه: "دراسة تطبيقية لسورة النساء"، فتطرقنا أولا إلى تعريف السورة وسبب تسميتها، ثانيا: أسباب نزولها، وثالثا: فضائل السورة ورابعا: جدول إحصائي للتورية في سورة النساء، وخامسا وأخيرا بلاغة التورية في سورة النساء، وفي الأخير أنهينا بخاتمة التي جاءت كمحصلة موجزة لكل ما جاء في البحث مع ذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولا شك أنه من طبيعة البحث الأكاديمي، ومن طبيعة الباحث العلمي أيضا أن تواجهه بعض الصعوبات والمعوقات، أثناء القيام ببحثه ودراسته، ونحن كغيرنا من الباحثين واجهتها بعضا من هذه الصعوبات التي كادت أن تحيل بيننا وبين الوصول إلى تحقيق أهدافنا المسطرة ونذكر من بينها: نقص الدراسات التي تناولت بشكل خاص فن التورية في القرآن الكريم، إذ نجد الفنون البلاغية الأخرى استقلت بدراسات منفردة على عكس فن التورية إضافة إلى تعلق هذا البحث بالقرآن الكريم وهو كلام الله عز وجل، ما جعل منه مجالا صعبا للدراسة، إذ لابد من أخد الحيطة والحذر الشديد في انتقاء الألفاظ والمفردات المناسبة خاصة في الجانب التطبيقي الذي اعتمدنا فيه على التفاسير والشروحات، ولعل أكبر صعوبة واجهتنا هي قلة المصادر والمراجع في موضوعنا خاصة فيما يخص الجانب النظري، فرغم أن المكتبات غنية بالكتب البلاغية والمؤلفات القديمة إلا أننا لم نجد فن التورية قد أخد حصته من هذه المؤلفات والكتب، فأغلبها إن لم نقل جلها لا تفرد إلا القليل من صفحاتها للحديث عن التورية باختصار شديد، وهذا ما زاد من صعوبة البحث، فتوجب علينا أن نأخذ من المؤلفات ثم نقوم بجمعها والربط بينها.

ورغم هذه الصعوبات والحواجز التي وقفت في طريقنا، إلا أنها لم تحطّ من عزيمتنا، ولم تنقص من إصرارنا على خوض غمار البحث والتقدم فيه وخدمة القرآن الكريم راجين من الله تعالى أن نصل فيه إلى ما نصبو فاستفرغنا لذلك كلّ ما نملك من مجهودات وقدرات فلم ندخر جهدا ولم يتسلل اليأس إلى قلوبنا أبدا، إلا أننا لا نزعم إطلاقا بلوغ الكمال فالكمال لله وحده وهذه هي فطرة الإنسان فكلنا مجبولين على الخطأ والنقص.

وفي الأخير نتمنى أن يكون بحثنا محققا لأهم أهدافه المنشودة، وأن يكون ثمرة مفيدة لكل من اطّلع عليه فإن وفقنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، ونشكر الله عزّ وجلّ على توفيقه فهو من سدّد خطانا وأنار دربنا وأرشدنا إلى الطريق الصحيح، ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "غليمة عزيزة" التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها، كما نشكر كل الأساتذة الكرام في قسم اللغة والأدب العربي، وخاصة الأستاذ الفاضل "محمد بولحية" الذي كان لنا سندا وعونا في كل وقت فرغم انشغالاته الكثيرة إلا أنه لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته القيمة، كما نشكر كل ما كان له يد العون في إنجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة، والله تعالى هو الموفق.

مدخل

من بين الفضائل التي انفردت بها الأمة العربية والإسلامية على غيرها من الأمم، أن الله عز وجل أنزل عليها كتابا عظيما فيه من الإعجاز والبراعة والتصوير ما فاق كل التصورات فهو نص لغوي يمكن أن نصفه في تاريخ الثقافة العربية بأنه نص محوري كان له الدور الكبير في نشأة الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال الجدل الذي أحدثه هذا النص لما فيه من إعجاز وبيان. فطبيعة الإنسان أن يجادل ويحاور ويناقش الآخر سعيا إلى إقناعه بأحقية رأيه وصوابه من جهة، وإفشال رأي الآخرين وإبطال مذهبهم من جهة أخرى، وذلك من أجل إثبات أفكاره وتحقيق مصالحه التي تثبت وجوده مع الآخرين. لذلك فقد أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياء ورسلا إلى العالمين بحجج قوية ومنطق سليم وبرهان دامغ، فلم يبلغوا رسالاتهم ولم يقنعوا أهاليهم وأقوامهم إلا من خلال تلك الحجج القوية والأدلة المنطقية والجدل الصحيح. وهذا من خلال كلام الله عزوجل الذي كان يمثل حجتهم الأقوى.

إذن فقد كان القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والمرسلين، فواجهوا به أقواما وأمما عديدة ورغم أن لغة قريش لا تضاهيها لغة أخرى من حيث الفصاحة والبلاغة والبيان، إلا أنه بنزول القرآن الكريم كانت لغته أقوى وأفصح وأبلغ، فعجز كل من سمعه على الإتيان بمثله فوصفوه بأنه شعر وبأنه أساطير الأولين وقول كاهن مجنون، لكن هذه الأوصاف التي كان يطلقها المكذبون على لغة القرآن لم تكن إلا نتيجة للعجز وعدم القدرة على فهمه، فقد وجدوا كلام الله عزوجل كلاما فريدا لا يتناسب مع كلامهم ولحنهم فهو لا يشبه شعرهم ولا نثرهم ولا يشبه أي نوع من أنواع الكلام المعهودة، لذلك قذفوه بهذه الأوصاف السخيفة التي لا تدل على شيء سوى على نقص فهمهم وتدبرهم لكلام الخالق عزوجل. قال تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾.[1]

وهذا لا ينطبق على عصر معين أو مكان معين، فقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس وحدهم من عجز عن الإتيان بمثل القرآن الكريم بل هذا حكم عام وشامل ينطبق على كل العصور والأزمنة والأمكنة، فما استطاع أي خطيب ولا كاتب ولا شاعر أو حكيم أو عارف باللغة والبلاغة والأسلوب وغير ذلك أن يأتي ولو بآية من مثله.

[1] سورة البقرة، الآية 23.

ومما لا شك فيه أننا إذا قارنا بين لغة القرآن ولغة البشر سنلاحظ بسهولة الفرق الكبير الكامن بينهما، فالأول أسلوب قرآني خارق للعادة تخطى كل أساليب الفصاحة والبلاغة والبيان، أما الثاني فهو كلام بشري قاصر مما يجعله أسلوب ضعيف أمام أسلوب القرآن، لهذا فالفرق واضح بين كلا الأسلوبين ومن لا يستطيع التمييز في ذلك فهو راجع إلى ضعف منه وعجز وليس إلى عدم وضوح الفرق بينهما.

الخطاب:

يعد الخطاب من أهم وسائل الإنسان للتعبير عن حاجاته اليومية، وللتواصل مع أبناء جنسه، فبالخطاب يستطيع الفرد تبليغ رسائل معينة، كما أنه قد يهدف إلى إقناع الآخرين برأيه وتأكيد قوته وصحته من خلال مجموعة من الخطابات التي تكون إما شفوية منطوقة أي مباشرة أو كتابية. وقد أخذ الخطاب كغيره من المواضيع حيزا كبيرا من اهتمامات الدارسين قديما وحديثا، وللغوص في مفهوم الخطاب لا بد أن نعرفه لغة وذلك كما جاء في المعاجم العربية.

لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "الخطبُ: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم؛ وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ أي: ما أمرك؟ (...) والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جل الخطب أي: عظم الأمر والشأن (...). وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخُطبة؛ (...)؛ وذهب أبو إسحاق إلى أن الخُطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع، ونحوه التهذيب والخطبة، مثل الرسالة التي لها أول وآخر"[1] ،وقال أيضا: "قال بعض المفسرين في قوله تعالى: وفصل الخطاب قال هو أن يحكم بالبينة أو اليمين، وقيل معناه: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده".[2]

[1] ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، مادة خطب، 1992، ج5 ص97،98.

[2] المصدر نفسه، ص 98.

كما ورد لفظ الخطاب في أساس البلاغة للزمخشري فقال: "وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة، وخطب الخاطب خطبة جميلة، وكثر خطّابها، وهذا خِطبها، وهذه خِطبه وخِطبته".[1]

اصطلاحا:

أما اصطلاحا فقد تعددت مفاهيم الخطاب وتعريفاته من باحث إلى آخر كما يظهر في الكثير من الدراسات، فهو عبارة عن".... عملية اتصال تتم في إطارين: الإطار اللغوي فقد يكون متوالية من الجمل المكتوبة أو المنطوقة ينتجها مرسل واحد أو عدة متخاطبين كما يحدث في الخطاب أو غيره وإطار غير لغوي يشمل العادات والأعراف والتقاليد والأخلاق(...) والخطاب باعتباره حدثا كلاميا يتألف من عدة عناصر هي: المرسل، والمستقبل أو الجمهور والرسالة أو الموضوع والهدف ويؤثر هذا الهدف تأثيرا جليا في استراتيجية المرسل فيملي عليه اختيارات معينة بين البدائل التي يتيحها له النظام اللغوي وقد يؤثر في صورة الحديث وطريقة بناءه(....) "[2]. وهذا يعني أن الخطاب هو أن يوجه المرسل الكلام أو الرسالة إلى الغير أي المستقبل أو الجمهور من أجل تحقيق هدف معين وهو إفهام المستمع وترك أثر معين فيه، وهذا الأثر لا يحدث إلا بتوفير شروط التأثير على المتلقي، وقد يلجأ المتكلم إلى أسلوب الإقناع بالحجج القاطعة والبراهين القوية مستعملا ملكته اللغوية وهادفا إلى تحقيق مقاصد معينة وبهذا "... يضع الخطاب في اعتباره الواقع والسياق وحالة المخاطب فيحاول أن يجد برهانه الأخير عبر تردد بين اتجاهين، قوته البلاغية من ناحية، والظرف الإنساني الذي يشكله المثلث من ناحية أخرى".[3]

وقد ورد مصطلح الخطاب بدلالات مختلفة حسب طبيعة الألفاظ المستعملة فيه فنجد الخطاب السياسي، الخطاب الأدبي والخطاب الديني...الخ، مع مراعاة السياق حيث يفهم السياق على أنه:" هو النص، والسياق يعرف بأنه البيئة اللغوية المحيطة بالعنصر اللغوي المراد تحليله، أو هو ما يسبق أو يلحق ذلك العنصر، أو هو رد أول الكلام على آخره وآخره على أوله...، ومعنى ذلك أن بين السياق والنص تطابقا في المفهوم".[4]

---

[1] الزمخشري جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العالمية، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م، مادة خطب، ج 1، ص 255.

[2] خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص 23.

[3] فادي إسماعيل، الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، ط 3، 1992م، ص 13.

[4] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424 هـ، ص 8.

وقد شغلت قضية الخطاب في البلاغة العربية حيزا كبيرا، حيث أن البلاغة تعاملت مع الأصناف الثلاثة للخطاب "الخطاب، القصيدة، القرآن الكريم".[1]

وبهذا يكون الخطاب قد أخذ مكانة مهمة في البلاغة منذ القديم فقد كان الخطيب له دوره ومكانته الخاصة في المجتمع العربي القديم، إذ أنه يعبر عن أحوال المجتمع وانشغالات الناس ومطالبهم وإيصال رسائلهم إلى مختلف الأجناس والأقوام، وذلك إما عن طريق الإلقاء المباشر والذي يستعمل فيه الخطيب عدة أساليب لإقناع جمهوره إضافة إلى جملة من البراهين والأدلة القوية التي تؤكد رأيه وتوصله إلى هدفه المقصود، وإما عن طريق الكتابة أي الخطب المكتوبة التي تكون عبارة عن رسائل موجهة إلى أطراف معينة وهذا النوع أيضا له دوره في نشر الآراء والأفكار المختلفة.

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ "الخطاب" بدلالات مختلفة ومفاهيم متنوعة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2]، فقد حمل لفظ الخطاب في هذه الآية معنى التفصيل في الكلام والمعاني وفهمه، وكذلك قوله تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[3] وحمل لفظ الخطاب في هذه الآية معنى:" فما شأنكم وما خطبكم".[4]

وفي الختام تجدر الإشارة إلى أن الخطاب تعددت مجالاته واختلفت مفاهيمه من حقل معرفي إلى آخر، وذلك بحسب الوظيفة التي يؤديها أو المعنى الذي يحمله، لكن ما يهمنا هو الخطاب البلاغي وبالضبط الخطاب القرآني الذي أنزله الله تعالى لمخاطبة البشر جميعا.

---

[1] ينظر: محمد بولحية، الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009م، ص 17.

[2] ص، الآية 20.

[3] الذاريات، الآية 31.

[4] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 1407هـ، ج4، ص 402.

النص:

إن مفهوم النص هو الآخر من بين المفاهيم التي لم يتفق جل الدارسين عليها، فكل فسّره بطريقته الخاصة وحسب مجال معين، و ما يهمنا هنا هو النص القرآني؛ أي كتاب الله عزوجل، فهو أول نص لغوي في تاريخ الحضارة العربية، وهو أول كتاب يعتد به في الفصاحة والبلاغة والبيان، باعتباره نصا مقدسا. وقبل أن نتطرق لمفهوم النص عموما ومفهوم النص القرآني خصوصا، يمكننا الوقوف أولا عند مفهوم النص كما ورد في بعض المعاجم العربية.

لغة:

جاء في معجم العين في مادة " نصص": " نصص: نصصت الحديث إلى فلان نصا، أي رفعته، قال:

ونصّ الحديث إلى أهله فإن الوثيقة في نصّه.

(....) ونصصت ناقتي: رفعتها في السير (...) ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء، يقال: نصّ ما عنده أي استقصاه.

ونصّ كل شيء منتهاه، وفي الحديث "إذا بلغ النساء نصُّ الحقاق فالعصبة أولى"، أي إذا بلغت غاية الصّغر إلى أن تدخل في الكبر فالعصبة أولى بها من الأم".[1]

وفي لسان العرب " نصص: النَّصُّ: رفعك الشيء. نَصَّ الحديث ينصه نصا: رفعه. وكل ما أُظهر فقد نص (...) يقال: نصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه وكذلك نصصته إليه (...) والمنصة: ما تُظهر عليه العروس لتُرى(...) ونص الدابة ينصها نصًّا: رفعها في السير (...) النصُّ الإسناد إلى الرئيس الأكبر، والنصُّ التوفيق (...) ونص كل شيء منتهاه".[2]

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تر و تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م ج4، ص 228.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، م 4، 1426هـ، 2005م، ص 539،540.

وهذا ما أشار إليه عبد الواسع الحميري بقوله:" ونص الحديث: بمعنى قرأه قراءة نصه، مظهرا خلالها تميزه واختلافه عن كل حديث آخر من جنسه، عبر إمكانات النصنصة أو التنصيص القرآني".[1]

اصطلاحا:

لقد تطرق الكثير من الدارسين – الغرب والعرب- على حد السواء إلى مفهوم النص وتحديد معانيه، حيث أبدوا اهتماما كبيرا خاصة في الآونة الأخيرة بدراسة النص فاختلفت التعريفات وتعددت التصورات لمفهوم النص من باحث إلى آخر، فهناك من الباحثين العرب من عرّف النص بأنه " عبارة عن فعالية تلق تفتح هذه المرسلة على ما سواها مما يستدعيه لغتها، قصدا من المرسل أو دون قصد منه".[2] ومن الباحثين الغربيين الذين تناولوا النص بالدراسة والتحليل، الباحثة جوليا كريستيفا التي تحدثت في مقالتها – النص المغلق- عن ايديولوجية الرواية، أي وحدتها ووظيفة التداخل النصي فيها: وتحليل ما يتعلق بهذه الوظيفة، حيث بدأت تحليلها بتقديم تعريف لنص فقالت: " بما أن اللسانيات ليست فقط خطابا فإنها تتخذ كموضوع لها ممارسات سيميائية عديدة تعتبرها غير لسانية، أي متكونة من خلال اللسان لكن غير قابلة لأن تختزل في المقولات التي تلصق به في أيامنا هذه. من هذا المنظور، نحدد النص كجهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان بواسطة الربط بين كلام تواصلي يهدف إلى الأخبار المباشر وبين أنماط عديدة من الملفوظات السابقة عليه أو المتزامنة معه، فالنص إذن وحدة انتاجية".[3] وبالتالي فالنص عموما قد تركز مفهومه عند جل الباحثين – الغرب والعرب- حول فكرة كونه نظام من الكلمات أو الملفوظات التي تنتمي إلى سياق معين، فهناك أنواع من النص كالنص السياسي، والنص الأدبي، والنص العلمي...الخ.

أما مفهوم النص في القرآن الكريم أو النص القرآني، فإن الكثير ممن اهتموا بهذا الشأن اعتبروا أن القرآن الكريم هو نص لغوي من أقدس النصوص في الثقافة العربية " إن البحث عن مفهوم "النص" ليس في حقيقته إلا بحثا عن ماهية "القرآن" وطبيعته بوصفه نصا لغويا، وهو بحث يتناول القرآن من حيث هو "كتاب العربية الأكثر

---

[1] عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص "المفهوم، العلاقة، السلطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1429هـ 2008 م، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 134.

[3] جوليا كريستيفا، علم النص، تر فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، الطبعة الثانية، 1997م، ص 21.

وأثره الأدبي الخالد" فالقرآن كتاب الفن العربي الأقدس، سواء نظر إليه الناظر على أنه كذلك في الدين أم لا وهذا الدرس الأدبي للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون نظر إلى اعتبار ديني، هو ما نعتده وتعتده معنا الأمم العربية أصلا، العربية اختلاطا، مقدم أول وغرضا أبعد، يجب أن يسبق كل غرض ويتقدم كل مقصد...". [1]

وبالتالي فالنص القرآني إذن هو نص شامل يمكن أن ندرسه من جهة أنه نص أدبي أو لغوي أو ديني أو بلاغي، فهو لا يحتوي على جانب واحد فقط بل فيه عدة جوانب مختلفة من العلوم ما يجعله مفهوما متسعا لعدة علوم أو تخصصات.

" وإذا كان مفهوم "النص" يمثل مفهوما محوريا في "علوم القرآن" فهو بالمثل مفهوم محوري في الدراسات الأدبية"[2] ، وهذا ما يدل على أن النص هو أساس الدراسات سواء في العلوم القرآنية أو الأدبية، لأنه لا يمكن أن تقوم دراسة من غير وجود نص.

وفي الأخير يمكننا القول إن النص عموما يقتضي وجود طرفين أحدهما المرسل والثاني المتلقي (المرسل إليه) أما النص القرآني فهو رسالة من الله سبحانه وتعالى إلى البشرية جمعاء، حيث يعتبر نصا دينيا ولغويا يحتكم إليه في مسائل الدين واللغة على حد سواء.

الأسلوب:

لقد اهتم الكثير من النقاد والدارسين – قديما وحديثا- بدراسة الأسلوب وتحديد بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة به، إضافة إلى تقسيمه وتحديد مجالاته. لذلك وجب علينا أن نقف على مفهومه في المعاجم اللغوية العربية.

لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور تعريف الأسلوب: " ويقال للسطر من النخيل: أسلوب. وكل طريق ممتد، فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق والوجهُ، والمذهبُ؛ يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب

---

[1] حامد أبو زيد، مفهوم النص- دراسة في علوم القرآن- المركز الثقافي العربي، ط7، المغرب، 2008م، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

والأسلوب: الطريق تأخذ فيه. والأسلوب، بالضم: الفنُّ؛ يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه، وإنَّ أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا".[1]

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي " الأسلوب، الطريق وعنق الأسد والشموخ في الأنف"[2] .ومنه فالأسلوب هو الطريق الذي يتبعه الإنسان للوصول إلى غاية ما أو هدف معين وهو يختلف باختلاف هذا الهدف، في حين أن معظم الدارسين الغربيين يتفق على أن الأسلوب مشتق من الأصل اللاتيني للكلمة stylus، يقول عبد المالك مرتاض: " أخذوه من اللفظ اللاتيني stylus الذي يعني المثقب الذي يكتب به، فقالوا: (style) (Estylo) ومنه أخذوا أيضا القلم فقالوا: (stylo) فأخذوا الجزء الذي هو أداة الكتابة وأطلقوه على الكل الذي هو الكيفية الخاصة للكتابة نفسها أو لكيفية التعبير عن الأفكار".[3] وهذا ما يعني أن الأسلوب عموما له معان مختلفة فهو الطريق والوجه وأداة الكتابة وكيفية التعبير وهو نهج كل إنسان في الحياة فيقال أسلوب حياة وأسلوب كلام وأسلوب معيشة، ولذلك نجد اختلافات في تحديد المفاهيم العامة والتعاريف من كاتب إلى آخر ومن مفكر إلى آخر نظرا لاختلاف أساليبهم وطرقهم في التفكير وفي تحصيل العلوم، أما الأسلوب في الاصطلاح فهو متنوع بتنوع الدارسين فنجد مثلا:

1- " الأسلوب هو السلوك (عالم النفس).
2- الأسلوب هو المتحدث/ المتكلم (عالم البلاغة).
3- الأسلوب هو الشيء الكامن (الفقيه اللغوي).
4- الأسلوب هو الفرد (الأديب).
5- الأسلوب هو المتكلم الخفي أو الضمني (الفيلسوف).
6- وأخيرا الأسلوب هو اللغة (اللساني)".[4]

---

[1] ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، ج7، ص255.

[2] محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2009م، ص 125.

[3] عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، تساؤلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب الجزائر، د ط، د ت، ص 87-88.

[4] فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر. خالد محمود جمعة، المطبعة العالمية، دمشق، ط1، 1424هـ، 2003م، ص 26.

ولا شك أن هذا التنوع أدى إلى صعوبة تحديد مفهوم الأسلوب بدقة وهذا ما يدفعنا إلى اعتباره ذو طبيعة زئبقية، كما أنه إبداع يستعمله الكاتب في التعبير عما يريده بلغة تميزه عن الآخر، ولذلك نجد الكثير من الأسلوبيين ينطلقون من مقولة بيفون الشهيرة " الأسلوب هو الإنسان نفسه" أي أن الأسلوب هو المرآة العاكسة لنفسية الكاتب، إضافة إلى علاقته بالظروف المحيطة به باعتبار أن الإنسان ابن بيئته فهو يؤثر فيها ويتأثر بها ومن خلالها يتشكل لدى كل إنسان أسلوب خاص وطريقته المعينة التي تبين أفكاره وتفسيره لمختلف الأشياء " فكل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، معنى ذلك أن الأسلوب هو فلسفة الذات في الوجود وإذ هو كذلك فلا يكون إلا مغرقا في الذاتية تماما".[1]

من جهة أخرى نجد أن الأسلوب قد يغيب في بعض الأحيان في الأعمال الأدبية وغيرها وذلك نتيجة لعدم تقيد الكاتب بطريقة خاصة وأسلوب محدد اعتاده في الكتابة والإبداع والإنشاء، وإنما سلك طريقا آخر واتخذ أساليب متنوعة عن طريق تقليده لغيره ومحاكاته لعبارات وتراكيب مستهلكة وهذا بطبيعة الحال ناتج عن غياب الإلهام والوحي ونقص الثقافة لدى الكاتب.

وهناك من ذهب إلى ربط الأسلوب بالمجتمع، فالإنسان ابن مجتمعه ومحيطه، فالمجتمع يلعب دورا فعالا في رسم أسلوب الكاتب وصقل مواهبه والمساهمة في بناء أفكاره ولغته وثقافته، فكل كاتب يصف ما يعيشه في مجتمعه وما يراه من ظواهر وأحداث وهذا انعكاسا لما هو سائد في ذلك المجتمع من تطور وازدهار ورقي أو من تدهور وضعف وانحطاط، يقول عبد المالك مرتاض: " لا يمكن أن نرد الأسلوب إلى المجتمع بصفة مطلقة ونهمل الإبداع الذاتي للكاتب الذي بقدر ما يأخذ من مجتمعه، فإنه بدوره قادر على إعطائه الجديد، وإنه لا يكون كاتبا حقا إلا إذا كان كذلك".[2] فالكاتب إذن يبدع ويعطي كل ما لديه من إلهام ويأخذ من مجتمعه الذي يعد المؤطر الأساسي لعبقرية الكاتب وذكاءه أي أن هناك تأثر وتأثيرا بين المجتمع والكاتب، إلا أنه يبقى لكل كاتب أسلوب خاص به.

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتبة، د ب، ط 3، ص 66.

[2] عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، ص 98.

ويمكننا القول أن موضوع الأسلوب من أهم قضايا البلاغة العربية إذ أن العديد من الأدباء والنقاد والعرب القدامى تناولوا الأسلوب وذلك عند معالجتهم لبعض القضايا النقدية والبلاغية، من خلال ربط الدرس البلاغي بنظرته إلى الأسلوب بالإضافة إلى اهتمام الدرس العربي منذ القرن الثاني للهجرة بدراسة الأسلوب في مباحث الإعجاز القرآني وهذا عند المقارنة بين أسلوب القرآن الكريم وأساليب الكلام الأخرى.

البلاغة:

إن الإنسان العربي من عاداته الكلامية الخروج عن اللغة المألوفة للخطاب والكلام والنطق بعبارات ذات معاني رائعة ومبهرة، فضلا عن زخارف الألفاظ التي يستعملها من أجل سلب أسماع ونفوس المخاطبين، إذ أن سمات الكلام البليغ لا يتم إدراكها إلا عن طريق الدرس والبحث والتأمل، ولذلك فنحن بحاجة إلى دراسة البلاغة فهي تكشف للمتعلم عن العناصر البلاغية التي ترقى بالتعبير صعيدا نحو الكمال الفني وتبين له الأدوات التي يستطيع التمرس بها والتدرب عليها حتى يأتي بالكلام البليغ الذي يحدث وقعا في نفوس السامعين، ولذلك سنقف على مفهوم البلاغة أولا في اللغة كما جاء في المعاجم العربية ثم مفهومها اصطلاحا من منظور العلماء والباحثين.

لغة:

جاء في لسان العرب:" وصَل وانتهى؛ وأبلغه هو إبلاغا وبلَّغه تبليغا (...) والبلاغة: الفصاحةُ، والبَلْغُ والبِلْغُ: البليغ من الرجال، ورجل بليغٌ، وبِلِغٌ: حسَنُ الكلام وفصيحه يبلغ بعبارة لسانه كُنْهَ ما في قلبه".[1] فالمعنى اللغوي للبلاغة هو " الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، أو شارف عليها".[2] كما ورد لفظ بلغ ومشتقاته في القرآن الكريم بمعاني متعددة كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[3] أي قاربنه.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة بلغ، ج2، ص 143.

[2] يوسف أبو العدس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999م، ص 45.

[3] البقرة، الآية 234.

اصطلاحا:

" هي وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز وتأدية المعنى أداءا واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه وللمخاطبين".[1] ومعنى هذا أن البلاغة من صفة الكلام وليست من صفة المتكلم، فعندما نسمي المتكلم بالبليغ فالحقيقة أن كلامه بليغ وليس الشخص في حد ذاته بليغ. وفي الوقت نفسه لا نصف الكلام بأنه كلاما بليغا إلا إذا جمع بين حسن اللفظ وجودة المعنى وبعيدا عن الركاكة والغموض أو التقعر في الكلام الذي يجعل المتلقي وهو يستمع له حائرا مشمئزا، بل على العكس من ذلك فالبلاغة تجعل المستمع يستمتع بذلك الكلام الفصيح الذي يطرب الأسماع.

وقد تنوعت وتعددت آراء القدامى في تحديد ماهية البلاغة ومفهومها، حيث ذكر ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة طائفة من أقوال البلغاء في تحديد مفهوم البلاغة فمثلا: " سئل بعض البلغاء: ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يُسأم، وسئل آخر فقال: معان كثيرة في ألفاظ قليلة، وقيل لأحدهم ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وسئل بعض الأعراب: من أبلغ الناس؟ فقال: أسهلهم لفظا وأحسنهم بديهة، وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحة دالة، وقال الخليل بن احمد: البلاغة كلمة تكشف عن البقية، وقال المفضل الضبي: قلت لأعرابي ما البلاغة عندكم؟ فقال: الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل (...) وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: إبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع، ولذلك سميت بلاغة...". [2] ولا شك أن هذه التعريفات هي مجرد أوصاف للبلاغة فهذه الأوصاف لا تشمل جميع الجوانب والنواحي للبلاغة وإنما تمس جانبا واحدا منها.

أما المفهوم الجوهري للبلاغة المعاصرة فيتمثل أساسا في: " إصرارها على توظيف الرمز الخاص بدلا من المعنى الجرد، والتلميح بدلا من التصريح، والإيحاء بدلا من الإخبار، والتصوير بدلا من التقرير، والتجسيد بدلا من التجريد".[3]

---

[1] سميح أبو مغلي ورفاقه، دروس في علم العربية، دار الفكر ،عمان، الأردن، ط1، 2000م، ص 115.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية ، بيروت، دط، دس، ص 80.

[3] نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996م، ص 84.

كما ذهب بعض المعاصرين إلى إعطاء مفهوم آخر للبلاغة العربية في العصر الراهن هو" ... بلاغة الأحوال المطابقة للمقام مع تدرج الزمان والمكان ليتم التوصيل والتأثير ونقل ما في نفس المتفنن إلى المتلقي بتأثير، وبهذا نعرف دلالات المصطلحات في تنوعها في علم البيان، وسنسترشد بالمعاني في علم المعاني ونربط بين الحس المعنوي واللفظي في صورة الإتقان البلاغي وجماليته، ونصعد أكثر في هذه النظرة إلى معرفة الدلالات الداخلية للصورة البلاغية في المصطلح الواحد".[1]

وبعد هذه التعريفات نشير في الختام إلى أن البلاغة تتألف من ثلاثة علوم وهي المعاني والبيان والبديع، فعلم المعاني يعتمد على ثلاثة أساليب في التعبير عن المعاني التي يريد المتكلم توصيلها إلى الآخر وهي الإيجاز، الإطناب والمساواة. وعلم البيان يدرس المجاز بأنواعه: التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي والكناية أيضا.

أما علم البديع فيهتم بدراسة وسائل تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال، وهذه الوسائل تنقسم إلى المحسنات المعنوية التي تهدف إلى تحسين المعنى ومحسنات لفظية تهدف إلى تحسين اللفظ من خلال: الطباق، المقابلة، التورية، المشاكلة، اللف والنشر، ... وغيرها من الأساليب التي تحسن الكلام وتزيد المعنى قوة واتساقا.

البديع:

البديع هو الآخر من بين المواضيع التي أثارت اهتمام الكثير من الدارسين خاصة الأدباء منهم والشعراء وذلك منذ وقت مبكر، لما لاحظه هؤلاء من جمال في الكلام وروعة في الاتساق والانسجام وتأدية المعاني بطريقة رائعة جدا، فالعرب من طبعهم التفنن في الكلام وإطلاق اللسان وتحسين المعاني وذلك منذ القديم، فمنذ عهد الأعراب المتقدمين إلى عهد الجاهلين إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع كلام بليغ وفصيح ولغة فائقة البراعة والتصوير إلى أن جاء القرآن الكريم فكان نصه أفصح وأبلغ مما كان، فصار بمثابة المرجع اللغوي الذي ينهل منه جميع الأدباء والشعراء وكل مهتم باللغة العربية، ومنذ ذلك الوقت صار الاهتمام باللغة والفصاحة أكثر من ذي قبل حيث حاول الدارسون الوصول إلى سر هذه الفصاحة وإعطائها قدرا كبيرا من الاهتمام والإلمام، فكانت النتيجة أن توصلوا إلى علم آخر من علوم البلاغة ألا وهو "علم البديع" وقد صنف مع علم المعاني والبيان

[1] محمد بركات، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م، ص 7.

واعتبرت هذه العلوم الثلاثة هي العلوم الأساسية التي تقوم عليها البلاغة، ولكي نتحدث على هذا العلم لابد وأن نقف عند مفهومه اللغوي كما جاء في المعاجم العربية.

لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: " بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه.(...) والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أَوّلاً. وفي التنزيل:"قُل ما كنتُ بِدْعاً من الرُّسُل؛ أَي ما كنت أَوّلَ من أُرْسِلَ، (...) والبِدْعةُ: الحَدَث وما ابْتُدِعَ من الدِّينِ بعد الإِكمال (...) والبَدِيعُ: المحْدَثُ العَجيب. والبَدِيعُ: المبْدِعُ. (...) والبَديع: من أَسماء الله تعالى لإِبْداعِه الأَشياء وإِحْداثِه إِيَّاها (...) بَدِيعُ السمواتِ والأَرض؛ أَي خالقها ومُبْدِعُها والبديع من الحِبال: الذي ابتُدِئَ فتله ولم يكن حَبلاً فنكث ثم غُزل وأُعيد فتلُه ...". [1] ولعل هذا المعنى اللغوي للبديع يدل على كل ما جديد وحديث العهد وهو دليل على الاختراع والإنفراد بصفة معينة، فقولنا مثلا عن فلان أنه مبدع، أي أنه اخترع شيئا عجيبا أو فريدا لم يسبق لأحد اختراعه، أما في القاموس المحيط فقد جاء: "البديعُ: المبتدِعُ والمبتدَعُ، (...) ومنه الحديث "إن تهامة كبديع العسل"، والرجل السمين، ج: بُدع، وبناء عظيم للمتوكل يسرُّ من رأى، وماء عليه نخيل قُرْب وادي القرى (...) والبِدْعُ بالكسر: الأمر الذي يكون أولا والغُمْرُ من الرجال والبدن الممتلئ، والغاية في كل شيء...". [2] وقد وردت كلمة البديع في القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3] فالله سبحانه وتعالى هو الخالق المنشئ المخترع لهذا الكون أول مرة ولم يسبقه أحد.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 37-38.

[2] محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 722.

[3] سورة البقرة، الآية 117.

اصطلاحا:

يعرف البديع في الاصطلاح بأنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة".[1] بمعنى أن البديع علم تعرف من خلاله الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام رونقا وحسنا وجمالا وذلك بشرط المطابقة بين مقتضى الحال ووضوح الدلالة، فالبديع ليس من سماته تعقيد الكلام وإنقاص المعنى أو جعله صعب الفهم إنما هو علم يهتم بتجميل المعنى وتحسين الكلام وزيادة تأثيره في السامع أو المتلقي، إذ أن كل لون من ألوان البديع له دور خاص في تجميل الكلام وإطراب أذن السامع بتلك المفردات العذبة الفصيحة وذلك الجرس الموسيقي، لذلك نجد الأدباء والشعراء اهتموا اهتماما بالغا بالبديع وفنونه، فلا تكاد قصيدة من قصائدهم أو قولا من أقوالهم يخلو من أحد ألوان البديع الذي يستخدم إما لتحسين المعاني أو الألفاظ، لذلك قيل: "فحسن اللفظ من حيث الجرس الصوتي وحسن الكلمة من حيث أدائها لمعناها ويزداد حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الصوتي كما يتضح في الجناس والسجع والترصيع والتصريع وغير ذلك من ألوان البديع، ولتحقيق الجمال والحسن في هذه الأنواع لا بد أن يتحقق الاتصال بالمعنى دائما".[2] وعلى العموم يمكن القول أنه مهما كثرت التعريفات لعلم البديع ومهما اختلفت الآراء حوله إلا أن الجميع يكاد يتفق على أن البديع هو حسن في المعنى والأداء معا أي أنه لابد أن يكون هناك اتصال واتساق بين جمال الكلام وجمال المعنى في الوقت نفسه.

من جهة أخرى فإن القرآن الكريم يزخر بمختلف أصناف وألوان البديع فلا تكاد تخلوا سورة من سوره من ذلك، فالقرآن الكريم كما هو معروف أرقى نص لغوي وفيه استعمل الخالق عزّوجل أساليب بلاغية في منتهى الجمال والإبداع، فقد ورد السجع بكثرة إضافة إلى المقابلة والجناس والتورية والطباق وغيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾[3] والأمثلة كثيرة في هذا الشأن.

---

[1] عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، علم البليغ، علم البديع، مكتبة الآداب، القاهرة دط، 1999م، ج 4، ص 3.

[2] محمود أحسن حسن المراغي، في البلاغة العربية، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1991م، ص 11.

[3] الضحى: الآية 9-10.

و يمكننا القول أن البلاغيين اهتموا بالبديع اهتماما نابعا من قوة تأثير هذا العلم على اللغة العربية وفصاحتها ولذلك نجدهم قسموه إلى قسمين: محسنات معنوية ومحسنات لفظية، فالمعنوية هي التي يكون الجمال فيها راجع إلى المعنى بالدرجة الأولى ثم يكون تحسين اللفظ، أما اللفظية فهي التي تهتم بتحسين الألفاظ أولا ثم تحسين المعاني وكل هذا يكون بغير قصد ولا تكلف. [1]

القرآن:

أ– لغة: هناك عدة أقوال في التعريف اللغوي للقرآن ومن بينها:

القول الأول: "كلمة مشتقة من الفعل قرأ بمعنى تلا، فكلمة القرآن مصدر الفعل قرأ وهو يرادف قراءة بمعنى تلاوة، فالقرآن والقراءة مصدران بمعنى واحد هو التلاوة". [2]

القول الثاني: القرآن في الأصل مصدر على وزن فُعلان بالضم، كالغفران والشكران والثكلان تقول: قرأته قرءا وقراءة وقرآنا بمعنى واحد أي تلوته تلاوة، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[3] أي قراءته. ثم صار علما شخصيا لذلك الكتاب الكريم، وهذا هو الاستعمال الأغلب ويسمى أيضا الكتاب". [4]

القول الثالث: " القرآن هو أول أسماء الكتاب العزيز وأشهرها وأصح الأقوال في شرح معناه اللغوي أنه مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[5] ثم نقل هذا المعنى المصدري وجعل اسما لكلام الله المنزل على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، وقد قيل: إن اسم القرآن مشتق من القرء

---

[1] ينظر: عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء القاهرة، ط1، 2000م، ص 16.

[2] غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، دط، 1989م، ج1،ص 20.

[3] سورة القيامة، الآية 17-18.

[4] محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، دط دب 1426هـ، 2005م، ص 41.

[5] سورة القيامة، الآية 17-18.

بمعنى الجمع لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية السابقة".[1] وقد أطلق على القرآن الكريم أسماء متعددة منها: الفرقان، الكتب، الذكر والتنزيل[2] في حين نجد الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم، وقف عن أشهر اسمين وهما "القرآن، والكتاب" وفي ذلك يقول: "روعي في تسمية قرآنا كونه متلوا بالألسن، كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بالأرقام، فكلتا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه".[3]

وما يمكن أن نستنتجه من تسمية القرآن بهذين الإسمين أنه محفوظ في الصدور والسطور، ولذلك اصطلح عليه بالقرآن والكتاب.

ب- اصطلاحا:

لقد تنوعت تعاريف القرآن الكريم التي سطرها العلماء في كتبهم، وهي مختلفة من حيث الألفاظ، لكنها لا تخرج عن معنى واحد، وهو أن القرآن كلام الله عزوجل أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم نور وهداية للأمة، ومن أشهرها ما يلي: " هو كتاب الله – عزوجل- المنزل على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة (الفاتحة) إلى آخر سورة (الناس) أحكمه الله فأتقن إحكامه وفصّله فأحسن تفصيله، وصدق الله ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[4] لا يتطرق إلى ساحته نقض ولا إبطال".[5] وعرفه محمد فاروق النبهان في كتابه المدخل إلى علوم القرآن الكريم بقوله: " القرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو المصدر الأصيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتطرق الشك إلى أية آية من آياته، ينسخ المصادر الأخرى ولا تنسخه، ويحتج به على ما عداه ولا يحتج عليه، وما ورد في القرآن فهو قرآن وهو كلام الله، وتتمثل مهمة البشر في تفسيره وبيان ما ورد فيه"[6] .بمعنى أن ما جاء في القرآن هو كلام الله عزوجل ولذلك يجب الأخذ به في علوم الشريعة فهو

---

[1] مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، الطبعة الثانية، دمشق، 1418هـ 1998م، ص 13.

[2] ينظر: مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص 13.

[3] محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم،ص 41.

[4] سورة هود، الآية 1.

[5] محمد بن سويلم أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم،ن مكتبة السنة، ط2، القاهرة، 1423هـ، 2003م، ص 08.

[6] محمد فاروق النبهان، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، ط1، حلب، 1426هـ، 2005م، ص 15.

فهو المصدر الأولى والحجة الأقوى في عين الشريعة الإسلامية لأنه أصيل فلا شك فيه ولا بطلان، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزله بغية تأمله وتدبره وتفسيره والأخذ بما جاء فيه، فضلا عن أنه كتاب العربية الأكبر ورمز وحدة العرب الكبرى وجامعتهم العظمى، وهذا ما ذهب إليه مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو في كتابهما الواضح في علوم القرآن " هو اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس".[1] كما عرفه محمد بن عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم بقوله " القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته".[2] فهذه هي أهم تعريفات القرآن التي أردنا الوقوف عليها.

وقبل أن نلج إلى مضمون الدراسة نشير إلى أننا اقتصرنا على تعريف البديع وحده دون علوم البلاغة الأخرى، لأن دراستنا ستكون مركزة حول أحد أساليب البديع وهو التورية، لذلك لم نشر إلى علم البيان والمعاني.

[1] مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، ص 15.

[2] محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم، ص 43.

الفصل الأول

أسلوب التورية في البلاغة العربية والقرآن الكريم

أولا: مفهوم التورية " لغة واصطلاحا".

ثانيا: نشأة التورية.

ثالثا: أنواع التورية.

رابعا: بلاغة التورية وعلاقتها بالفنون البلاغية الأخرى.

خامسا: التورية في القرآن الكريم بين مؤيدين ومعارضين.

سادسا: جمالية التورية.

توطئة:

يعتبر علم البديع القسم الثالث المكمل للبلاغة العربية بعد علمي البيان والمعاني، كما ينقسم "علم البديع" بدوره إلى قسمين: الأول وهو المحسنات اللفظية التي تهتم باللفظ فالتحسين فيها راجع إلى اللفظ كالجناس والسجع والتصريع والموازنة... وغيرها، والثاني وهو المحسنات المعنوية وهي التي تهتم بالمعنى، أي أن التحسين فيها راجع إلى المعنى كالطباق والمقابلة وتشابه الأطراف والمزاوجة والعكس والتورية...الخ. هذه الأخيرة التي تعتبر درّة من درر الأسلوب البلاغي إذ تجعل المتكلم يتفنن في كلامه ويتوسع فيه وهذا ما يجعله فصيحا وبليغا لأنه قادر على تصريف ألفاظه وما ينتج عنها من معاني، ولذلك كانت لنا مع التورية مجموعة من الوقفات في هذا المبحث.

أولا: مفهوم التورية:

أ– لغة: "مصدر وريت الخبر تورية إذ سترته وأظهرت غيره".[1]

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "وريّتُ الشيء واريتُه: أخفيته، وتوارى هو استتر (...) وَوَرَّيْتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته؛ عن كراع وليس من لفظ وراء لأن لام وراء همزة. وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أراد سفرا ورّى بغيره أي ستره وكنى عنه، وأوهم أنه يريد غيره، (...) ويقال واريته و وريّته بمعنى واحد. وفي التنزيل العزيز ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾ أي ستر على فوعل. وقرئ ورّي عنهما بمعناه ووريّت الخبر أوريّه تورية إذا سترته وأظهرت غيره".[2]

إذن فقد ورد مصدر "ورّى" و "وريّتُ" في اللّسان بمعنى الستر والإخفاء كذلك وردت لفظة "التورية" فقال "والتورية الستر".[3]

---

[1] أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت، ص300.

[2] ابن منظور ، لسان العرب، ج 8، ص 807.

[3] المصدر نفسه، ص 807.

كما جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي: " وورّاه تورية: أخفاه كوراه وورّى الخبر: جعله وراءه وورّى عن كذا: أراده. وأظهر غيره، ووارى عنه بصره دفعه وتوارى: استتر".[1] وما نلاحظه أن معنى ورّى قد جاء في هذا المعجم بنفس المعنى الوارد في المعجم السابق – لسان العرب– أي بمعنى الإخفاء والستر وإظهار الغير، ونجد ورود هذا المعنى أيضا في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، لكنه في معنى التورية فنجده يقول:"والتورية إخفاء الخبر وعدم إظهار السّر، تقول ورّيته تورية". [2] وقد أطلق البلاغيون على التورية أسماء مختلفة منها: الإيهام، التوجيه، التخيير، المغالطة، الأحاجي والألغاز، إلا أن اسم التورية هو المناسب والأقرب لأن المتكلم يستر بها عن المعنى البعيد بالمعنى القريب فضلا على أنّها مصدر ورّيت الخبر، وهذا ما يؤكده ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الأدب بقوله: " التورية: يقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير والتورية أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمّى، لأنها مصدر ورّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر".[3] وذهب إلى مثل ذلك المدني في كتابه أنوار الربيع الذي يقول فيه: "التورية أقرب اسم سمّي به هذا النوع لمطابقة المسمى، لأنه مصدر ورّيت إذا أخفيته وأظهرت غيره." [4]

ب– اصطلاحا: لقد كثرت التعريفات وتعددت بين الباحثين والبلاغيين فيما يخص التورية لكنها اتفقت جميعها على أنها لفظ له معنيان قريب وبعيد. ومن بين هذه التعريفات قولهم هي: " أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد ويراد البعيد منهما".[5]

---

[1] محمد الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 1341.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين "باب الواو"، ج4، ص 366.

[3] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج2، الطبعة الأخيرة، 2004م، ص 39.

[4] علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شادي هادي شاكر، النجف الأشرف، دط، 1388هـ، 1953م، ج5 ص 5.

[5] الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، دار الأبحاث للنشر والتوزيع، ط1، دب، 2007م، ص 350.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[1] ففي الآية الكريمة لفظ جرحتم له معنيان قريب ظاهر غير مراد وهو إحداث تمزق في الجسد، والثاني بعيد خفي مراد وهو ارتكاب الذنوب واقتراف المعاصي، وبهذا يتضح أن التورية عبارة عن كلمة واحدة لها مدلولان أو معنيان إما بالاشتراك أو بالتواطؤ، فالأول قريب وهو المتبادر إلى الذهن مباشرة وهو غير مراد، أما المدلول الثاني فهو الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق إعمال العقل، لأنه بعيد ويلائم المقام الذي جاء فيه، وذلك بالاعتماد على قرينة خفية، والمتكلم يوهم السامع أول الأمر أنه يريد المعنى القريب وعند التأمل يتضح أنه يريد المعنى البعيد ولذا سمّي هذا النوع أيضا باسم الإيهام، وهناك من سمّاها أيضا التوجيه والتغيير، ولكن لفظة "التورية" أولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لأنها مصدر ورّى بتضعيف الراء.[2]

ومن بين التعريفات أيضا تعريف ابن المعتز في كتابه " كتاب البديع" حيث يقول:" التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان: قريب ظاهر، غير مراد، وبعيد خفي هو المراد".[3]

أما الجرجاني فيعرف التورية في كتاب التعريفات بقوله: " هي أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره، مثل أن يقول في الحرب: مات إمامكم، وهو الذي ينوي به أحد من المتقدمين".[4] أما ابن حجة الحموي فيعرفها في كتابه خزانة الأدب بقوله " التورية أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل هذا سمي هذا النوع إيهاما".[5]

إذن فالحموي في تعريفه للتورية أشار إلى أن الكلمة تكون لها معنيان إما حقيقيان أو الأول حقيقي والثاني مجازي، وتكون الدلالة على المعنى الأول ظاهرة، أما الدلالة على المعنى الثاني فتكون خفية لذلك يتوهم السّامع في الوهلة الأولى أن المتكلم يريد المعنى الأول أي القريب.

---

[1] الأنعام، الآية 60.

[2] ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، دار العالم الثقافية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 2، 1418هـ، 1998م، ص 171.

[3] أبو عباس عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، مؤسسة الكتب الشفافية، لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م، ص 105.

[4] الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1423هـ، 2002م، ص 62.

[5] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص 39.

كذلك ابن أبي الأصبع ذكر في كتابه" تحرير التحبير" التورية فقال: "وتسمّى التوجيه وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله".[1]

وقد أشار عبد العزيز عتيق إلى أن صلاح الدين الصفدي يعرف التورية بأنها أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده هو المعنى البعيد. [2]

هذا فيما يخص التورية عند البلاغيين إذ نلاحظ أن هذه التعريفات رغم تعددها إلا أنها اتفقت جميعها على أن التورية لفظ يحتمل معنيان قريب وبعيد، ويكون المعنى القريب ظاهر أما المعنى البعيد فهو خفي ولا يصل إليه السامع إلا بقرينة تدل عليه.

وقد وردت التورية في الشعر والقرآن الكريم وكذلك الحديث النبوي الشريف ومن أمثلة ذلك في الشعر قول ابن أبي الظاهر:

شكرا لنسمة أرضكم كم بلّغت عني تحيه

لا غرو إن حفظت أحا ديث الهوى فهي الذكية.

فالتورية في كلمة "ذكية" لها معنيين، الأول قريب وهو الساطع الرائحة، والثاني بعيد وهو الفطنة وهذا هو المراد الذي قصده الشاعر ولكنه ورّى عنه. [3] وفي الحديث النبوي الشريف " فقد سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الرسول حين خروجهما من الغار إلى المدينة، يا أبا بكر من هذا؟ فقال: هاد يهديني السبيل".[4] فالمعنى القريب هو إرشاده إلى الطريق وهدايته، أما المعنى البعيد وهو المراد والمقصود هو يهديني سبيل الخير لأن الهداية مشتركة بين تعريف ما ينبغي وما لا ينبغي من الأعمال وبين الدلالة على الطريق الموصل إلى الجهة المقصودة فأوهم أنه يريد طريق الهداية وهو يريد هداية الدين.

---

[1] ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تح:حقي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت، ج2، ص 268.

[2] عبد العزيز عتيق،في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، ص 541.

[3] ينظر: فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار النفائس، الأردن، ط12، 1429هـ، 2009م، ص 328.

[4] عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، دب، ط1، 1403هـ، 1983م، ص 67.

أما في القرآن الكريم فقد وردت التورية في آيات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.[1] ففي كلمة "ضلالك" تورية ولها معنيين معنى أول ضد الهدى ومعنى ثاني هو الحب أي حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف، فاستعمله أولاد يعقوب بمعنى ضد الهدى تورية عن الحب، لكن المراد هو ما أهملوا لا ما استعملوا، وقوله تعالى أيضا: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾[2]، فكلمة رضوان مع الجنات توهم السامع أن المعنى المراد هو خازن الجنات في حين أن المراد هو رضوان الله، الذي هو ضد السخط وعدم الرضى وهو معنى بعيد مورى عنه بالمعنى القريب.

ويتضح من خلال الأمثلة السابقة أن التورية تتكون من ثلاثة عناصر أساسية هي: الأول: لفظ له معنيان والثاني: معنى قريب ويسمى المورّى به، والثالث: معنى بعيد ويسمى المورّى أو المورّى عنه، بالإضافة إلى القرينة التي تدل على أن المعنى البعيد هو المقصود من لفظ التورية، وقد تكون هذه القرينة لفظية ظاهرة أو معنوية تفهم من سياق الكلام.

ثانيا: نشأة التورية

التورية نوع من أنواع البديع المعنوي، وهي إحدى الفنون البلاغية القديمة إلا أننا لا نجد الكثير من المؤلفات التي اهتمت بهذا الفن وسلطت الضوء عليه، خاصة من ناحية المفهوم والنشأة والتطور، بل كان يعتقد أن المتقدمين من البلغاء استعملوها فقط للزينة اللفظية ولم يقصدوا هذا الفن بذاته، إلا أن المتتبع للسيرة النبوية يجد ورود هذا الفن على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه مع الصحابة أو أثناء خروجه إلى الغزوات، فعندما يسأل من طرف الناس كان يلجأ إلى تورية المعنى الحقيقي بمعنى آخر قريب، وذلك كي لا تنتشر أخباره لدى قريش، كما نجد وروده في القرآن الكريم أيضا في بعض آيات الذكر الحكيم، حيث أنه يستعمل ألفاظا ذات معنيين مختلفين ورغم هذا نجد الكثير من القدماء لم يحفل بهذا الفن –التورية– بل إن ما ورد في أدبهم منها ربما

[1] يوسف، الآية 95.

[2] التوبة، الآية 21.

وقعت لهم عن غير قصد[1].وهذا ما أشار إليه ابن حجة الحموي حيث قال: "وممن وقعت له التورية عفوا من غير كد ولا تكليف ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب بقوله عفى عنه:

جلس المولى لتسليم الورى ولفضل البرد في الجو احتكام

فإذا ما سألوا عن يومنا قلت هذا اليوم برد وسلام

... وباهى النسيم بلطف تركيبها الشيخ شمس الدين الأدفوي بقوله:

كم للنسيم على الربا من نعمة وفضيلة بين الورى لن تجحدا

ما زارها وشكت إليه فاقة إلا وهز لها الشمائل بالندا" [2]

ولذلك نجد أن الكثير من الأدباء القدامى كانوا يطلقون أسامي مختلفة على هذا الفن دون علم منهم فالقاضي عبد الجبار اتخذ التورية وسيلة من وسائل الدفاع عن الوحدانية، كما أنه يقر بوجود التورية، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾[3]، حيث يؤكد في هذه الآية أن الاستواء هنا ليس على حقيقته بل على معناه الآخر أي الاستيلاء والاقتدار، وكرر هذا مع كل الآيات التي ورد فيها لفظ استوى. [4]

وفي الرسالة التي كتبها ابن منجب –علي بن منجب بن سليمان بن الصيرفي– ت 542هـ وأهداها للأفضل بن بدر الجمالي الوزير المصري، وسماها "لُمَحُ الملَح" وفيها يعرض لما يسمى بتجنيس التورية، يقول ممهدا

[1] ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 41.

[2] ابن حجة الحموي، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، المطبعة الأنسية، بيروت، دط، 1212 هـ، ص 152.

[3] البقرة، الآية 29.

[4] ينظر: منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت، ص 201.

لشواهده، ومما ولّد المحدثون "تجنيس التورية"[1]، كما نجد أيضا من أوائل الذين اهتموا بالتورية رشيد الدين الوطواط حيث سمّاها "بالإيهام" وقال: " وهي تعني في اللغة "التخييل" ولذلك يسمّون هذه الصنعة بالتخييل أيضا..." [2]

أما السّكاكي فنجده يطلق اسم "الإيهام" على التورّية فيقول: "وهو أن يكون للّفظ استعمالان: قريب وبعيد، فيذكر الإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد".[3] كما أنه يرى أن أكثر متشابهات القرآن تدخل في هذا النوع.

أما ابن الأثير فيرى أن التورية من "المغالطات المعنوية" ويقول عنها: "وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام، وألطفه لما فيه من التورية وحقيقته: أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض، النقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا، فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة".[4] إذن فابن الأثير اعتبر التورية من المغالطات المعنوية التي تكون فيها معنيين، والمعنى الثاني نقيض الأول، وهو الأحسن والألطف.

كما نجد ابن أبي الأصبع يتحدث عن التورية ولكنه أطلق عليها اسم "التوجيه" وأعطى لها مثالا بقوله تعالى:﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[5] وغيرها من الآيات، فالضلال هنا له معنيين الأول يحتمل الحب وهو حب يعقوب عليه السلام ليوسف، والثاني هو ضد الهدى وهو ما استعمله أولاد يعقوب عليه السلام فورّوا به عن الحب الذي كان هو قصدهم ومرادهم.[6]

إذن فالتورية من المصطلحات التي كانت غير مستقرة، حيث استعملها الأوائل تحت مسميات مختلفة فأحيانا يطلقون عليها الإيهام والتوجيه، وأحيانا أخرى عبروا عنها بالكناية والمغالطات المعنوية وغيرها من

---

[1] ينظر: منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ص 202.

[2] منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، نقلا عن حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين الوطواط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945م، ص 135.

[3] أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2000م، ص 537.

[4] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت ج3، ص 76.

[5] يوسف، الآية 95.

[6] ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر، دط، دت، ص 102.

التسميات، وهذا ما جعل فن التورية يبقى مضطربا إلى حد ما إلى أن جاء القزويني الذي أطلق عليها اسم التورية والإيهام، حيث قال: "التورية وتسمى الإيهام أيضا.... وهي ضربان مجردة ومرشحة"[1]، كما اعتبر أن التورية هي الأصل في كل شيء بني على التوهم، أي أنه قسم التورية إلى قسمان وهي مجردة ومرشحة، فالمجردة هي التي لا تقترن بما يلائم المورّى به وهو المعنى القريب، أما المرشحة فهي التي تقترن بما يلائم المورّى به وتكون هذه القرينة إما قبلها أو بعدها.

ومن أكثر الذين اهتموا بالتورية ابن حجة الحموي في كتابه "خزانة الأدب وغاية الأرب" حيث أفرد جزءا كبيرا منه للحديث عنها فقال: "لأن هذا النوع أعني التورية، ما تنبه لمحاسنه إلا من تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب، ولعمري إنهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الأدب إلى أن دخلوا إليه من باب، فإن التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها أبواب عطف ومحبة، وما أبرز شمسها من غيوم النقد إلا كل صنام مهزول ولا أحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول".[2]

ويؤكد رأيه بقول الزمخشري فقال: "وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم، ولا نرى بابا في البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع و لا أعدن عن تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته –رضي الله عنهم أجمعين– فمن ذلك قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3] (...) ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم– حين سئل في مجيئه عند خروجه إلى بدر فقيل لهم: ممن أنتم؟ فلم يرد أن يعلم السائل فقال: من ماء (...)".[4]

فما نلاحظه إذن أن المتأخرين من الشعراء والأدباء هم من اهتموا بفن التورية وتوسعوا فيها وفي استعمالاتها في أشعارهم، حيث يقول عبد العزيز عتيق: "ولهذا نرى الكثير جدا من شعراء مصر والشام خاصة في القرن

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 350.

[2] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 40.

[3] طه، الآية 05.

[4] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 40.

السادس والسابع والثامن للهجرة يتوسعون ويتفننون في استعمالها، ويأتون بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاء الطبع والقدرة على التلاعب في أساليب الكلام".[1]

لهذا فقد وقع الإجماع على أن المتأخرين هم الذين سَموا إلى أفق التورية وجعلوها فنا من فنون البديع المعنوي وقد ذكر ابن حجة الحموي "إن أول من اكتشف غطاءها وجلا ظلمة إشكالها أبو الطيب المتنبي بقوله:

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات مصطحبان

كأن رقاب الناس قد قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني".[2]

فالمتنبي يعتبر أول من التفت إليها واستخدمها في شعره، فمنذ عصره بدأ الاهتمام بالتورية يزداد شيئا فشيئا إلى أن جاء القاضي الفاضل (596هـ)، فتلقفها وتوسع في استعمالها في شعره ونثره إلى الحد الذي لفت الأنظار إليه، فهو أول من فتح باب التورية لأهل عصره ومن بعدهم بما أودع منها في نضمه ونثره.

وقد تأثر به كثيرون ممن جاءوا بعده من شعراء مصر مثل ابن سناء الملك والسراج والوراق والجزار... وغيرهم، أما من شعراء الشام فقد اشتهر بالتوسع في استعمال التورية شرف الدين عبد العزيز الأنصاري، ومجبر الدين بن تميم، ومحمد الدين الحموي، وعلاء الدين الكندي الشهير بالوداعي، والذي يقال أنه أشهر من "قفانبك" في نظم التورية، أي أن هذا دليل على اهتمامه بها وتوسعه في استخدامها.[3]

وخلاصة القول أن الجهود توالت والأفكار اتحدت في الكشف عن غطاء هذا الفن الذي كان غامضا إلى حدّ ما، واستمرت هذه الجهود إلى عصرنا الحديث، بالرغم من أنّنا نلاحظ أن أغلب الباحثين والكتاب لم يخصصوا أجزاءًا كبيرة من كتبهم لها، بل إن أغلبهم اكتفى بذكر تعريفاتها وأقسامها مع بعض الشواهد الشعرية والقرآنية، ومع هذا فهي تبقى من أهم الفنون البلاغية القديمة التي تعبر عن ذوق الإنسان والمجتمع، فهي أداة للتعبير عن الآراء والميولات الشخصية التي يخشى الفرد التعبير عنها بصورة مباشرة.

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني،البيان، البديع)، ص 550.

[2] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 41.

[3] ينظر: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني،البيان، البديع)، ص 550 551.

ثالثا: أنواع التورية

اختلف تقسيم العلماء والباحثين للتورية فمنهم من جعلها قسمين: " مجردة ومرشحة"، ومنهم من جعلها أربعة أقسام: "مجردة، مرشحة، مهيأة، مبينة"، ولعل هذا الاختلاف في التقسيم راجع إلى اختلافهم في فهم الهيئة التي تكون عليها التورية، فكل هذه التسميات التي أطلقت على أقسام التورية تدل على اختلاف القرينة أو اللّازم الذي يقع ليدل على المعنى البعيد أو القريب، وفيما يلي تفصيل لهذه الأقسام الأربعة.

1- التورية المجردة:

تطلق هذه التسمية على النوع الأول من التورية " وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورّى به، وهو المعنى القريب، ولا من لوازم المورّى عنه، وهو المعنى البعيد". [1] وقيل أيضا: هي: "التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورّى به".[2] ومعنى هذا أن التورية المجردة لا تقترن بما يلائم المعنى القريب، ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[3] فالتورية هنا في كلمة "استوى" لها معنيين هما:

- **الأول**: "الاستقرار"[4] وهو المعنى القريب غير المقصود لأن الله سبحانه وتعالى منزه عنه.

- **الثاني**: "الاستيلاء"[5] وهو المعنى البعيد المورّى عنه وهو المقصود من الكلام. ففي هذه الآية الكريمة لم يذكر شيئا من لوازم المعنى البعيد ولا من لوازم المعنى القريب، فقد أراد الله عز وجل من لفظ "استوى" معناه البعيد وهو الاستيلاء والملك ولكن لم يرد أي لازم يدل على هذا المعنى أو يدل على معنى الاستقرار أي المورّى به فجاءت القرينة خفية "وهي استحالة الاستقرار حسا –وهو المعنى القريب– على الله سبحانه وتعالى"[6]. يقول الزمخشري في معنى استوى: " الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا:

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 243.

[2] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 350.

[3] طه، الآية 05.

[4] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984هـ، ج 16، ص 187.

[5] المصدر نفسه، ص 187.

[6] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، جامعة الإسكندرية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، دب، دط، 1999 2000م، ص 62.

استوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر ونحوه قولك: يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى: أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت، حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال، أو لم يكن له يد رأسا قبل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم: هو جواد".[1] وقوله أيضا :﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[2] " فلفظ –النجم– له معنيان: قريب مورى به، وهو الكوكب المناسب للشّمس والقمر، وهو غير مراد، وبعيد مورّى عنه، وهو النبات الذي لا ساق له – المناسب للشجر– وهو المراد".[3] فكانت التورية مجردة لأنها لم تقترن بلازم يدل على المعنى القريب أو البعيد ومن الأمثلة أيضا: "قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فأزهرت فيه الأرض:

كأن نيسان أهدى من ملابسه لشهر كانون أنواعا من الحلل

أو الغزالة من طول المدى خرقت فما تفرق بين الجدي والحمل".[4]

وقد شرح ابن حجة الحموي هذا المثال بقوله: "والشاهد في الغزالة والجدي والحمل، فإن الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئا من لوازم المورّى به، كالأوصاف المختصة بالغزالة الشمسية كالإشراق والسمو والطلوع والغروب، فإن قيل إن الغزالة قد رشّحت بذكر الجدي والحمل، وهما مرشحان بالغزالة، فالجواب إن لازم التورية من شرطه أن يكون لفظه غير مشترك، والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدي والحمل".[5]

ومثلها قول أبي بكر رضي الله عنه حين سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم حين الهجرة. فقيل له: من هذا؟، فقال "هاد يهديني" أراد أبو بكر هاد يهديني إلى الإسلام، لكنه ورّى عنه بهادي الطريق، وهو الدليل في السفر، وهنا لم يرد أي لازم يدل على المورّى به أو المورّى عنه لذلك كانت التورية مجردة.

---

[1] الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 52.

[2] الرحمن، الآيتان 5 6.

[3] محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1994م، ص 34.

[4] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 244.

[5] المصدر نفسه، ص 244.

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل سفيان الضمري عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه من أخبارهم وكان ذلك حين خروجهم إلى "بدر" فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال له أو ذاك بذاك: نعم، فلما فرغ الشيخ من حديثه قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء.[1]

إذن فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كلمة "ماء" وهي تحتمل معنيين: الأول: معنى قريب مورى به وهو الماء الذي خلق منه كل شيء وهو المقصود، والثاني: معنى بعيد مورى عنه وهو المكان المعروف بهذا الاسم وهو غير مقصود.

وبهذا فالتورية المجردة إذن لا يذكر فيها لازم يدل على المورّى به أو على المورّى عنه ولذلك فهي مجردة من ذلك.

2- التورية المرشحة:

" وهي التي ذكر فيها ما يلائم المورّى به، وهو أقوى درجات الإيهام في التورية لأنه يقوّي المعنى القريب فيخفي المعنى البعيد المقصود".[2]، ولهذا سمّيت مرشحة لأنها ترشح المعنى القريب وتقويه فتجعل السامع يتوهم أنه المقصود من الكلام، وهناك من يرى أن التورية المرشحة هي "في الأصل نوع من الاستعارة المرشحة (...) بالإضافة إلى أن ترشيح التورية تارة يكون قبلها وتارة يكون بعدها"[3]، وتنقسم بحسب ذكر ما يلائم المورّى به إلى قسمين هما:

أ- "قبل لفظ التورية: وهو أن يذكر فيه ترشيح التورية قبلها مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[4]"[5]، فالتورية واقعة في لفظ "يد" وهذا اللّفظ له معنيان:

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 244

[2] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتابة، طرابلس، لبنان، 2008م، ص 78.

[3] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص 60.

[4] الذاريات، الآية 47.

[5] محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، ص 36.

1- **المعنى القريب:** وهو الجارحة أي اليد الحقيقية، وهذا المعنى مورّى به وقد سبقت بلفظ "بنيناها" على جهة الترشيح وهو من لوازم اليد.

2- **المعنى البعيد:** هو قوة الخالق وعظمته، وهذا المعنى مورّى عنه، وهو المراد ، لأن الخالق جل وعلا منزّه عن المعنى الأول وعندما تقدم ما يفهم منه وجه خفائها فكانت تورية وإن كانت مجازا، وقد قرنت بما يلائم المعنى القريب الذي هو وضع لبنة على أخرى.

ومثل قول البوصيري في مدح الصحابة ووصفهم –رضوان الله عليهم-:

والكاتبين بسمر الخط ما تركت أقلامهم حرف جيم غير منعجم.

فكلمة "الخط" لها معنيان أحدهما قريب وهو الخط الكتابي وهو المورى به وغير مراد، والثاني بعيد وهو موضع باليمامة... وهو المورى عنه والمراد، وقد قرنت بالكتابة الملائمة للمعنى القريب.[1]

وأيضا قول الشاعر:

وواد حكي الخنساء لا في شجونه ولكن له عينان تبكي على صخر.

ففي لفظ "صخر" معنيين أولهما بعيد وهو الحجارة المعروفة، والثاني قريب مورى به وهو أخو الخنساء.

ب- بعد لفظ التورية:

وهو الذي يذكر فيه ترشيح التورية بعدها، مثل قول الشاعر:

"مذ همت من وجدي في خالها ولم أصل منه إلى اللثم.

قالت: قفوا واستمعوا ما جرى خالي قد هام به عمي.

[1] ينظر: محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، ص 36.

الشاهد في الخال، فإنه يحتمل خال النسب، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم".[1] أما المعنى البعيد فقد يكون " الشّامة التي تظهر في الوجه غالبا وعدّها الناس أمارة حسن"[2]، وهو معنى مورّى عنه وهو المقصود من كلام الشاعر لكنه ورّى عنه بالمعنى القريب مع القرينة التي رشحت ذلك المعنى.

3- التورية المبينة:

" وهي ما ذكر فيها لازم المورّى عنه، قبل لفظ التورية أو بعده"[3]، فيعين على الاهتداء إليه وتبيينه، وسميت مبينة لأنها تبين المورّى عنه بذكر لازمه، وهي أيضا قد يكون فيها هذا اللازم إما قبل لفظ التورية وإما بعده.

أ- قبل لفظ التورية: وهي ما ذكر لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية، "واستشهدوا عليه بقول البحتري:

ووراء تسدية الوشاح ملية بالحسن تَمْلُحُ في القلوب وتعذبُ

الشاهد هنا في تملح فإنه يحتمل أن يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورّى به، ويحتمل أن يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه"[4]، أي أن الشاعر أراد المعنى البعيد أي الملاحة والحسن ولكنه ورّى عنه بمعنى آخر قريب حتى يخفي مراده، وقد أشار إليه بإحدى اللوازم التي تبين المعنى البعيد وهو "ملية بالحسن".

ب- بعد لفظ التورية: وهو الذي ذكر فيه لازم المورى عنه بعد لفظ التورية، ومنه قول الشاعر:

أرى ذَنَبَ السرحان في الأفق طالعا فهل ممكن أن الغزالة تطلع؟[5]

في البيت توريتان، أولاهما" ذنب السرحان" وفيها معنيان:

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 246.

[2] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 79.

[3] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 246.

[4] المصدر نفسه، ص 246.

[5] ينظر: محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، ص 39.

"أ- قريب، وهو ذنَب الحيوان (الذئب) وهو المعنى المورّى به.

ب- بعيد، أول ضوء النهار، وهو المعنى المورّى عنه وهذا هو المعنى المراد، وقد بيّنه بذكر لازم بعده بقوله (طالعا)". [1]

والتورية الثانية وهي "الغزالة" ولها معنيان:

"أ- قريب، وهو الغزالة الوحشية المعروفة، وهو المعنى المورّى به الذي لم يقصده الشاعر.

ب- بعيد، وهو الشمس، وهو المعنى المورّى عنه وقد بينه الشاعر بذكر لازم بعده (تطلع) وهذا هو المعنى المقصود".[2]

4- التورية المهيأة:

"وهي التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ إلا باللّفظ الذي قبلها أو باللفظ الذي بعدها أو تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر"[3]، بمعنى أن هذه التورية لا بد من وجود اللّفظ الذي يدل عليها فهي لا تتهيأ إلا به فإن لم يوجد لم تفهم التورية، وينقسم هذا النوع إلى ثلاثة أقسام:

أ- المهيأة بلفظ قبلها: وهي التي تتهيأ فيها التورية بلفظ قبلها، " وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة:

وسيرك فينا سيرة عُمرية فروّحت عن قلب وأفرَجت عن كرب

وأظهرت فينا من سميِّك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك النَّدب"[4]

" فالتورية هنا في (الفرض والندب) وفيهما معنيان:

---

[1] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

[3] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1983 م، ج1، ص 389.

[4] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 248.

أ- قريب، وهو أن يعني الشاعر بهما الأحكام الشرعية، وهو المعنى المورى به، غير المقصود.

ب- بعيد، وهو أن يكون الفرض بمعنى العطاء، والندب صفة المرء السريع في قضاء الحاجات، وهو المعنى المورى عنه (المقصود)". [1]

وسبقت هذه التورية بلفظ (سنّة)، وهو الذي هيأ التورية ولولاه لما فهم الفرض والندب بأنهما حكمان شرعيان صحت بهما التورية.

ب- المهيأة بلفظ بعدها: وهي التي تتهيأ فيها التورية بلفظ بعدها " ومنه نظما قول الشاعر:

لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا: مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبي في جنابك خدمة لأكون مندوبا قضى مفروضا"[2]

فالتورية وردت في لفظ (مندوبا) وهي تحتمل معنيين وهما:

الأول: المندوب يحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية وهو المعنى القريب غير المقصود (المورّى به) والمعنى الثاني يحتمل أن يكون الميت الذي يُندب ويُبكى عليه، وهو المعنى البعيد المقصود (المورّى عنه).

وبذكر لفظ (مفروضا) المتأخر عن (مندوبا) تهيأت التورية وتنبه السّامع لمعنى (المندوب). [3]

ج- المهيأة بلفظين: " وهو الذي تقع التورية فيه في لفظين، لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر، واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وهو:

أيها المنكح الثريا سُهيلا عَمرك الله كيف يلتقيان؟

---

[1] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 80.

[2] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 248.

[3] ينظر: المصدر نفسه،ص248.

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني". [1]

في هذين البيتين تهيأت التورية من لفظي (الثريا وسهيل) ولكل منهما معنيان أحدهما قريب والآخر بعيد مورّى عنه.

"- قريب، الثريا: النجم المعروف، وهو المعنى المورّى به غير المقصود

سهيل: النجم المعروف، وهو المعنى المورّى به، غير المقصود أيضا.

- بعيد: الثريا: بنت علي بن عبد الله بن الحارث وهو المعنى المراد المورّى عنه.

سهيل: بن عبد الرحمن، وهو المعنى المورّى عنه، وهو المراد".[2]

رابعا: بلاغة التورية وعلاقتها بالفنون البلاغية الأخرى

التورية فن بديعي قائم بذاته مستقل عن غيره من الفنون البديعية فهي نوع من البديع المعنوي، إذ أنّها تساهم بشكل كبير وفعال في بلاغة الكلام وفصاحته، بالإضافة إلى تقوية المعنى وتحسينه، وذلك من خلال إخفاء المعنى المراد وإظهار معنى آخر قريب وغير مقصود، لكن المتلقّي يظن للوهلة الأولى أنه المقصود من الكلام، ولذلك فالتورية في حقيقتها عبارة عن انزياح أو عدول عن التعبير الحقيقي، أو عن إظهار المعنى مباشرة وهذا ما يلزم السامع أن يتمعن في الكلام وأن يجد المعنى البعيد المورّى عنه أو المقصود، وذلك عن طريق لازمة أو قرينة تكون خفية وهذا ما يزيد من بلاغة التورية التي تكمن في ثلاثة أمور هي:

أولا: " أن المعنى البعيد المراد المورّى عنه يبدوا من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة كما يبدوا وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع...". [3] بمعنى أن المعنى البعيد يكون مورّى مستتر وراء المعنى القريب الذي يكون بمثابة حاجب يستر ويورّى عنه، وهذا ما جعله –المعنى البعيد- في صورة حسنة ولطيفة ومن أجل الوصول

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ص 249.

[2] محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 81 82.

[3] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، ص 181.

إليه يجب على المتلقي إعمال فكره وذهنه والبحث عن القرينة التي تدل عليه كي لا يقع في خطأ الفهم، وهذا ما يجعل المتلقي يحس بالمتعة الذهنية وهو يبحث عن المعنى البعيد، ولهذا شبه هذا المعنى البعيد بوجه المرأة الحسناء من وراء البرقع، فعند الكشف عن هذا البرقع يتجلى جمالها وحسنها.

ثانيا: " أن المخاطب يدرك من لفظ التورية في بادئ الأمر معناها القريب، لسرعة إدراكه قبل البعيد ولخفاء القرينة فيها... فإذا ما وقف على المعنى البعيد بعد ذلك وأدركه بالتأمل وإطالة النظر كان له وقعة في النفوس وأثره الحسن"[1]، أي أن المتلقي يفهم المعنى القريب من لفظ التورية مباشرة قبل المعنى البعيد، لأن القرينة الدّالة عليه تكون خفية، وعندما يدرك المتلقي تلك القرينة أو اللازم الذي يدل عليه تمكن من إدراكه مباشرة ومعرفته بأنه هو المقصود من الكلام، وهذا ما يحدث وقعا وأثرا حسنا في نفسية المتلقي، وذلك بعد التأمل وإطالة النظر والتفكير.

ثالثا: "أنها تمكن المتكلم من أن يخفي المعاني التي يخشى التصريح بها، فيورّي عنها بمعان تفهم من لفظ التورية، وبهذا يدفع المحذور مع الصدق، كما رأينا في إجابة أبي بكر –رضي الله عنه– للسائل عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال له "هاد يهديني" .. وكما رأينا ما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم في خروجه لبدر عندما سأل سائل: ممن أنتم؟ إذ قال له: "من ماء"[2]، فالتورية تستعمل في المواقف التي يريد المتكلم إخفاء المعنى الحقيقي والتستر عليه وعدم التصريح به، ولذلك يوري عنه بمعان مختلفة تفهم من لفظ التورية والقرينة الخفية الدالة على تلك المعاني، وهذا لكي لا يحدث التصريح بذلك المعنى ضررا أو حرجا لصاحبه فيورّي عنه بمعنى آخر غير مراد، لكنه يوهم السامع بأنه هو المعنى الحقيقي وهذا ما قصده أبو بكر –رضي الله عنه– حين أجاب السائل الذي سأل عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال له "هاد يهديني" فهو لم يرد التعريف برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه في الوقت نفسه أتى بمعنى صادق وقريب وهو الهدي، أي أنه مؤمن يهديه إلى السبيل، ولهذا قيل أن "التورية من الفنون التي تحتاج إلى معرفة واسعة وإدراك عميق وربط بين المعاني والصور، وهي بذلك من الفنون التي تخدم الأديب حينما لا يريد الإفصاح عن مغزاه".[3]

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، ص 181.

[2] المرجع نفسه، ص 181.

[3] أحمد مطلوب، فنون بلاغية. البيان، البديع، دار البحوث العلمية، الكويت،ط1،1390هـ، 1975م، ص 298.

علاقة التورية بالفنون البلاغية الأخرى:

أ- التورية مع المجاز والكناية:

التورية هي لفظ يحتمل معنيين، معنى قريب ومعنى بعيد، وحتى نتمكن من تحديد ما يشبهها بالمجاز والكناية من جهة، وما يميزها عنهما من جهة أخرى، أردنا أن نقف أولا على ماهية المجاز والكناية، فالمجاز هو: " الكلمة المستعملة في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل عليه بنفسها في ذلك النوع"[1]، وبذلك يكون المجاز هو الكلمة التي تستعمل في غير موضعها الحقيقي لتدل بذلك على المعنى المجازي، فضلا عن وجود قرينة تمنع تفسيرها على المعنى الحقيقي لها، إذ أن اللفظ استعمل في غير ما اصطلح عليه الخطاب المألوف، أما الكناية فهي: " لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى"[2]، أي أن الكناية لا تصرح بالمعنى المقصود من اللفظ وإنما تلمح له، لأنها تخاطب ذكاء المتلق حيث تهدف إلى تشغيل فكره وإعمال عقله، ولذلك فهي لا تستعمل اللفظ الموضوع للمعنى المناسب أو المقصود وإنما تستعمل المرادف منه وتجعله دليلا عليه، وبالتالي فالكناية لها معنيان أحدهما مستتر والآخر ظاهر وهي تقصد المعنى المجازي مع جواز أن يقصد بها المعنى الحقيقي، إذن الكناية هي انزياح في الدلالة والمجاز كذلك، وهذا ما يتفقان فيه مع التورية كانزياح دلالي أيضا، بالإضافة إلى أن في كلاهما لفظ له معنيان -ومع هذا الخيط الرابط بينهما-تختلف التورية عن المجاز والكناية في أمرين أساسيين هما:

"1- أن القرينة في التورية تكون غالبا قرينة خفية، أما في المجاز والكناية فغالبا ما تكون ظاهرة بينة.

2- أن كل معنى من معنيي التورية يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما، أما في الكناية والمجاز فلا بد من وجود علاقة بين المعنى الأصلي للفظ والمعنى المجازي أو الكنائي المراد منه"[3]، أي أن اللفظ الذي يدل على المعنى المراد أو البعيد في التورية يكون خفي ولا يدرك إلا عن طريق التأمل، بالإضافة إلى أن المعنى القريب والمعنى البعيد يفهمان بمعزل عن الألفاظ الأخرى فلفظ التورية وحده كاف للدّلالة على المعنيين بدون

---

[1] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 469.

[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني، البيان، البديع)، ص 397.

[3] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، ص 181.

الحاجة إلى علاقته مع الألفاظ الأخرى، في حين أن اللّفظ الدّال على المعنى المراد في المجاز والكناية يكون واضح ظاهر في الكلام يدرك مباشرة في أغلب الأحيان، كما يجب أن يرتبط المعنى الأصلي للفظ مع المعنى المجازي المراد منه وذلك في الكناية والمجاز.

ب- التورية والاستخدام:

الاستخدام نوع من المحسنات المعنوية التي تهدف إلى تحسين المعنى كالتورية وغيرها من المحسنات الأخرى ويعرف الاستخدام بأنه "ذكر اللفظ بمعنى وإعادة ضمير أو إشارة عليه بمعنى آخر، أو إعادة ضميرين عليه نريد بثانيهما غير ما نريد بأولهما"[1]، بمعنى أن الاستخدام ذكر لفظ له معنيان، أحد المعنيين يفهم من خلال اللفظ أما المعنى الآخر فيفهم أو يعبر عنه من خلال ضمير يعود على اللفظ بمعنى آخر، وقد يعود عليه بدل الضمير الواحد ضميرين كل ضمير بمعنى مختلف، وهذين المعنيين اللذين يدل عليهما اللفظ قد يكونا حقيقيين أو مجازين أو مختلفين فلا فرق بينهما، وبالتالي فالاستخدام يشبه التورية في كون أن اللفظ له معنيان أو أكثر، إلا أنهما يختلفان من جهتين: "أولاهما: أنه في التورية يكون أحد المعنيين قريبا والآخر بعيدا، أما في الاستخدام فلا يشترط ذلك. الثانية: أن التورية يراد فيها أحد المعنيين وهو البعيد المورّى عنه، ويلغى الآخر وهو القريب المورّى به أما في الاستخدام فيراد المعنيان معا كما رأينا".[2]

وهذا يعني أن للفظ المفرد الذي يذكره المتكلم في التورية معنيان، أحدهما يكون قريب وغير مقصود وهو المورّى به، والآخر بعيد مقصود وهو المورّى عنه وهو الذي يلغي المعنى القريب، على خلاف الاستخدام الذي يكون المراد فيه من اللفظ المعنيان معا حيث لا يوجد فرق بينهما في كون الأول مقصود والآخر غير مقصود.

ج- التورية والتوجيه:

التوجيه هو الآخر يشترك مع التورية في وجود معنيين من اللفظ، ولذلك فالتوجيه هو: "إيراد الكلام محتملا لوجهين متضادين كالمدح والهجاء أو الذم والثناء... ولا بد أن يكون هذا الاحتمال على حد سواء، فلو كان أحد

---

[1] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1419هـ، 1999م، ص 115.

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، ص 186.

الوجهين متبادرا إلى الذهن لم يكن توجيها"[1]، بمعنى أن الكلام يحتمل معنيين مختلفين كالمدح والذم ولا يتميز أحدهما عن الآخر لأن ذلك الاحتمال يكون متساوي بين المعنيين المتضادين فلا يوجد في سياق الكلام ما يدل على التمييز بينهما، وإنما يقصد الإبهام من خلال الألفاظ التي تكون صالحة للأمرين معا (المدح والذم) ولكن هناك فرق بينهما يتمثل فيما يلي:

"1- المقصود في التورية أحد المعنيين وهو البعيد، أما في التوجيه فالمعنيان سواء.

2- التورية تكون في الألفاظ المفردة، بينما التوجيه يكون في التركيب كله.

3- التورية لها معنيان في اللغة وفي أصل الوضع، بينما التوجيه يدل على معنييه بمعونة السياق".[2]

بمعنى أن المراد من التورية هو المعنى البعيد أي ما أهمل لا ما استعمل، في حين أن التوجيه لا يرجح فيه أحد الوجهين، بالإضافة إلى أن التورية تختص باللفظ المفرد فقط ولا تكون في التركيب كله الذي يختص به التوجيه، كذلك التورية فيها معنيان في اللغة وفي أصل الوضع سواء بالتواطئ أو بالحقيقة أو بالمجاز، أما التوجيه فمعانيه تفهم من خلال السياقات المختلفة والقرائن الأحوال، لذلك يكون التوجيه أحد معانيه ضد الآخر أما التورية فلا.

د- التورية والمشترك اللفظي:

سبق وأن عرّفنا التورية بأنها لفظ يحتمل معنيان: أحدهما قريب والآخر بعيد، فالقريب غير مقصود، أما البعيد فهو المقصود من الكلام، ولا يفهم السامع المعنى المقصود إلا بقرينة أو لازم يدل عليه، أما المشترك اللفظي فقد نقل السيوطي معناه عن ابن فارس، حيث قال " وقد حدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة".[3] فالمشترك اللفظي هو لفظ واحد دال على معنى أو معنيين أو أكثر لأن اللفظ في أول وضعه كان يدل على معنى واحد، ثم تولد من هذا المعنى الواحد عدة معاني لذلك فالدلالة هي عمود المشترك اللفظي، وبالتالي فالتورية تتشابه مع المشترك اللفظي في عدة نقاط أبرزها أن

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، ص 187.

[2] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، ص 114.

[3] جلال الدين السيوطي، المزهر في علم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ج1، ص 292.

كلاهما يدل على معنيين، وكلاهما يحتاج إلى قرينة تعين السامع على فهم المعنى المراد والمقصود من الكلام، ولكنها قد تختلف عنه في مواضيع أخرى لاسيما من حيث الحقيقة والمجاز، والقرب والبعد، والإفراد والتركيب والتجريد والترشيح وتساوي الدلالة وغيرها، "والتورية بهذا الصورة قد تتشابه مع المشترك اللفظي، وقد تختلف معه، تشترك معه من حيث الدلالة على معنيين أو أكثر ومن حيث القرينة، فكلاهما محتاج إليها لتنير الطريق أمام ذهن السامع لكي يفهم المراد، غير أنه بجانب ذلك فإن ثمة أمور يختلفان فيها كل الاختلاف بحيث تصبح التفرقة بينهما واضحة وغير مبهمة، فالمشترك مشترك، والتورية تورية، ولا خلط بينهما لمن عرف".[1] فهناك علاقة تربط بين التورية والمشترك اللفظي وأمور أخرى تفرق بينهما.

هـ – التورية والتضاد:

رأينا أن التورية هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا يحمل معنيان: معنى قريب ظاهر غير مراد، ومعنى بعيد خفي مراد، والتضاد " هو أن يؤتى بالشيء، وبضده في الكلام".[2] بمعنى أن التضاد يجمع بين المتضادين في كلام واحد، وقد اختلف العلماء في معنى التضاد "فطائفة تزعم بأنه ذكر الشيء وضده فيجمعها اللفظ فهما لا المعنى وطائفة تخالف ذلك فتقول: هو اشتراك المعنيين في لفظ واحد"،[3] فالأضداد أيضا تعتبر واقعة على لفظين ضدين والقرينة هي التي ترشح أيهما المقصود بالدلالة، ومن ثم فلا يراد المعنيان في آن واحد، بل معنى واحد فقط وهو حقيقي لا دخل للمجاز فيه، ولا للقرب أو البعد على عكس التورية التي يكون فيها إحدى المعنيين قريب والآخر بعيد، فمثلا كلمة جلل فهي للعظيم والهين، يقال: قد جلّت مصيبتهم أي عظمت مصيبتهم فالمعنيين متساويين من حيث دلالة اللفظ عليهما، إلا أن الجامع لهما هو الضدية، كما أن استخدام اللفظ في كل مثال يدل على معنى واحد فقط وهو المعنى الظاهر من دلالة اللفظ عليه، وإن احتاج كالتورية للقرينة لتحديد معناه لأنه لو أطلق وخفيت دلالته لأدى إلى الإبهام والغموض أو ذهب بالسامع إلى غير قصد المتكلم.

---

[1] عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص 113، 114.

[2] العلوي، د يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، ج2، 1423هـ، ص 197.

[3] أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص 252.

ومن بين الاختلافات أيضا بين التورية والتضاد أنه في التضاد يكون المعنيان حقيقيان ولا مجاز فيهما عكس التورية التي يحتمل أن يكون هناك معنى حقيقي ومعنى مجازي، بالإضافة إلى أن العلاقة بين المعنى القريب والمعنى البعيد في التورية ليست نفسها العلاقة بينهما في التضاد، إذ العلاقة بينهما هي الضدية وهذا غير موجود في التورية فلا يشترط أن يكون المعنى البعيد أي المراد ضد المعنى القريب غير المراد.[1]

خامسا: التورية في القرآن الكريم بين المؤيدين والمنكرين

لقد طرح العلماء هذه القضية –التورية في القرآن الكريم– في العديد من المواقف وطال نقاشهم لها فتعدّدت آراؤهم واختلفت وتنوعت؛ فمنهم من يقرّ بوجود التورية في القرآن الكريم ومنهم من ينفي ذلك، وبالتالي ما هي الحجج التي أدلى بها كل طرف؟.

يرى العديد من العلماء أن القرآن فيه تورية، ويطلقون عليها اسم الإبهام والإيهام ومن بينهم: جلال الدين القزويني الذي اكتفى في كتابه الإيضاح بتعريف التورية وتقسيمها إلى قسمين، كما استشهد بأمثلة من القرآن الكريم فقال: "ومنه التورية، وتسمى الإيهام أيضا وهي: أن يطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد ويراد به البعيد منهما وهي ضربان: مجردة ومرشحة، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[2] وقوله تعالى أيضا: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[3]"،[4] كذلك نجد السكاكي يرى أن للتورية دور في توجيه متشابهات القرآن الكريم حيث قال:" وأكثر المتشابهات من هذا القبيل"،[5] بعدما عرف التورية وذكر أمثلة من القرآن " ومنه الإيهام وهو أن يكون للفظ استعمالان قريب وبعيد، فيذكر للإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد"[6] كقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[7] كذلك قوله تعالى: ﴿أَنِ اصْنَعِ

---

[1] ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، ص 116 117.

[2] طه، الآية 05.

[3] الذاريات، الآية 47.

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 350 351.

[5] السكاكي، مفتاح العلوم، ص 537.

[6] المرجع نفسه، ص 537.

[7] سورة الزمر، الآية 67.

اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2] وقوله أيضا: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[3]، بمعنى أن ما جاء في هذه الآيات وما أشبهها من إثبات العين العين أو الوجه أو القرب والمكان، كلها محمولة على التورية، فيراد من الأعين الرعاية والحفظ، ومن الوجه الذّات التي لا يعلمها إلا هو، والقرب قرب العلم لا قرب المكان والملاصقة، ومن العندية العندية المعنوية لا عندية المكان.[4]

وبالتالي فالله سبحانه وتعالى قد استعمل التورية في كتابه العزيز، ولكن بطريقة ذكية ساحرة بالغة فصيحة لطيفة وخالية من الكذب، فابن أبي الأصبع هو الآخر أشار في كتابه إلى ثلاثة مواضع أخرى لتورية وكانت معانيها ليست وصفا لله وأسماءه، فالموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[5] فهذه الآية حكاية عن إخوة يوسف عليه السلام، لأن الضلال يحمل على ضد الهدى ويحتمل الحب فاستعملوه مريدين به ضد الهدى موّرين به عن الحب ليعلم أن المراد ما أهملوا لا ما استعملوا، والموضع الثاني: في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾[6]، فالبدن يطلق على الجسد، وعلى الدّرع فقد استعمله بمعنى الجسم وأهمل معنى الدّرع ومراده ما أهمل لا ما استعمل، لأن نجاة فرعون أي خروجه من البحر بعد الغرق بدرعه أعجب من خروجه مجردا، أما الموضع الثالث: التورية اللطيفة في قوله تعالى بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾[7] فلما كان الخطاب لموسى عليه السلام من جانب الطور الغربي وتوجهت اليهود إليه، وتوجهت النصارى إلى الشرق، وكانت قبلة الإسلام وسطا بين القبلتين قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

---

[1] سورة المؤمنون، الآية 27.

[2] سورة الرحمن، الآية 26 -27.

[3] سورة ص، الآية 47.

[4] ينظر: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1992م، ج2، ص 423.

[5] سورة يوسف، الآية 95.

[6] سورة يونس، الآية 92.

[7] سورة البقرة، 145.

وَسَطًا﴾[1]، أي خيارا في حين أن ظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضه من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظ وسط هاهنا أن يسمّي تعالى به لأنها تحتمل معنيين، ولما كان المراد والله أعلم أحد المعنيين الذي هو الخيار دون الآخر صلحت أن تكون من أمثلة هذا الباب.[2]، كذلك ابن القيم قد ذهب إلى ما ذهب إليه العلماء الذين سبقت الإشارة إليهم، حيث يقول في كتابه الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان: "وهو أن يعلق المتكلم لفظ من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر وهو في القرآن كثير"[3]، واستشهد بقوله تعالى: ﴿ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[4]، ففي هذه الآية الجلالة الأولى مضاف إليه والثانية مبتدأ بها، وقوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾[5] ومن بينهم أيضا جلال الدين السيوطي الذي قال في التورية:" أن يذكر لفظ له معنيان إما بالاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز أحدهما قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة"[6] ،ثم ذكر أمثلة عليها من القرآن الكريم وأشار إلى أهم أنواع التورية، وهذا في كتابه الإتقان في علوم القرآن ثم قال: " ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر أن التورية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[7] فإن كافة بمعنى مانع أي تكفهم عن الكفر والمعصية، وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر أن المراد جامعة بمعنى جميعا..." [8] ،كما نجد أيضا الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن يؤكد ذلك الطرح حيث يقول يقول في التورية: "وتسمي الإيهام والتخييل والمغالطة والتوجيه وهي أن يتكلم المتكلم بلفظ مشترك بين معنيين: قريب وبعيد ويريد المعنى البعيد يوهم السامع أنه أراد القريب".[9] تم ذكر مجموعة من الشواهد القرآنية منها قوله

---

[1] سورة البقرة، 143.

[2] ينظر: ابن أبي الأصبع، بديع القرآن، ص 102.

[3] ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، دت، ص 201.

[4] سورة الأنعام، 124.

[5] سورة التوبة، الآية 108.

[6] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، دط، 1394هـ، 1974، ج3، ص 285.

[7] سورة سبأ، الآية 28.

[8] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، ج3، ص 287.

[9] الزركشي، البرهان في علم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط1، 1376هـ، 1957م، ج3 ، ص 445.

تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾[1]، أي مقرطون تجعل في آذانهم القرطة والحلق الذي في الأذن يسمى قرطا وخلدة والسامع يتوهم أنه من الخلود، وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾[2] فذكر رضوان مع الجنات مما يوهم إرادة خازن الجنات، وقوله: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[3] فإن لفظة "ربك" رشحت لفظة "ربِّه" لأنه يكون تورية إذ يحتمل أنه أراد بها الإلهْ سبحانه والملك، فلو اقتصر على قوله "فأنساه الشيطان ذكر ربه" ولم تدل لفظة ربه إلا على الإله فلما تقدمت لفظة ربك احتمل المعنيين"[4]، فهذه الأمثلة من أهم الشواهد القرآنية التي ذكرها العلماء في البرهان على ما ورد في القرآن الكريم من التورية، وهي ليست من باب الحصر، وإنما من باب التمثيل، وهذه الشواهد كافية للقول بوجود التورية في القرآن الكريم، إلا أن هناك من العلماء من زعم خلو القرآن الكريم من التورية، وذلك لأن التورية نوع من الكذب فالمتكلم يوهم السامع فيورّي عن المعنى المراد بمعنى آخر غير مراد وهو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن بقصد الإيهام، في حين أن القرآن الكريم منزّه عن الكذب لأن الله سبحانه وتعالى وصفه بأنه آيات بينات بقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[5] وبالتالي فهدف القرآن من هداية الخلق والبيان يتعارض مع مقصود فن التورية في الكلام الذي يهدف إلى التعميم والإبهام "ولهذا السبب كان القرآن الكريم خاليا من التورية وذلك أنها تختلف في دلالتها مع طبيعة القرآن الكريم اختلافا ظاهرا وتباينه مباينة لا سبيل إلى التوفيق بينهما"[6]، فمن هذا يتضح الاختلاف التام بين طبيعة التورية وما وما اشتمل عليه القرآن الكريم، ولعل الحجّة التي يقدمها أصحاب هذا الطرح هي أن الله سبحانه وتعالى وصف كتابه بأنه أنزله نور وهداية، وأنزله بغية تأمله وتدبره وتفسيره والأخذ بما جاء فيه، فكيف أنه يكون مشتمل على التورية التي تقوم على التضليل والإيهام؟ فبين طبيعة القرآن ودلالة التورية تناقض لا يمكن معه الالتقاء، أما الشواهد التي يحتج بها من يرى أن في القرآن الكريم تورية لو نتأمل فيها نجدها مشتملة على أسماء الله وصفاته،

---

[1] سورة الإنسان، الآية 20.

[2] سورة التوبة، الآية 21.

[3] سورة يوسف، الآية 42.

[4] الزركشي، البرهان في علم القرآن، ج3،ص 445 446.

[5] سورة الشعراء، الآية 195.

[6] الموقع الإلكتروني: عبد العزيز العمار، مقال بعنوان: هل يوجد في القرآن الكريم أسلوب تورية

http://www.toorab.ws/modulesphp?name=askandfile:wewanswerqid=31

ساعة الدخول: 9.38 تاريخ الدخول: 2016/03/15.

لذلك لا يمكن القول بأن فيها تورية أو مجازا بعامة، وهناك شاهد واحد فقط يذكر للتورية في القرآن الكريم وهو الشاهد الذي احتج به معظم علماء اللغة لتأكيد رأيهم، وهو قوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[1]، وهذا في قول أولاد يعقوب حين قال لهم: "إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم" فالضلال هنا له معنيان: المعنى القريب وهو تفنيد قوله هذا وبيان ضلاله، وهو أنه يجد ريح يوسف، لكن هذا المعنى القريب غير مراد، والمعنى البعيد فمرادهم من ذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[2] ،ولذلك فهذا الشاهد وحده غير مسوغ للقول بأن القرآن الكريم فيه تورية، لأنه وارد على لسان أولاد يعقوب. [3]

ولعل من العلماء من أكد على هذه القضية هو الدكتور محمد جابر فياض في كتابه التورية وخلو القرآن الكريم منها.

صحيح أن القرآن الكريم آيات بينات، وأنه نور وهداية، والأدلة التي قدمها أصحاب هذا الرأي مقبولة ولها جانب من الصحة، ولكن القرآن الكريم لا يخلو من التورية، لأن المولى عزّ وجلّ استعملها في كتابه العزيز بطريقة ذكية ساحرة فصيحة، بعيدة عن الكذب والاحتيال، فالتورية من أهم السّمات البلاغية في القرآن الكريم، إذ أنها تؤدي دورًا هامًّا في إعجازه وبيان معانيه ودلالته "فإن التورية في القرآن الكريم لها وظيفة هامة وهي قرينة من المجاز بل كثيرا ما يراد المعنى المجازي فيها كإرادة القدرة من يد، وهذا ظاهر فيها"[4]، بمعنى أن التورية لم تكن للزينة اللفظية فقط وإنما هي ألفاظ دعاها المعنى، فعندما تكون في مواضعها التي يراد لها أن تكون فيها كان للكلام فضلا وتأثيرا، فهي من أهم السمات العظيمة في أسلوبه –القرآن الكريم– لأنها مصدر الحسن والعجب فيه ذلك لأن الكلمة الواحدة عندما ترد بوجوه مختلفة متعددة تساهم مساهمة كبيرة في ثراء معاني القرآن الكريم.

---

[1] سورة يوسف، الآية 95.

[2] سورة يوسف، الآية 8.

[3] ينظر:الموقع الإلكتروني: عبد العزيز العمار، مقال بعنوان: هل يوجد في القرآن الكريم أسلوب تورية

http://www.toorab.ws/modulesphp?name=askandfile:wewanswerqid=31

ساعة الدخول: 9:38 تاريخ الدخول: 2016/03/15.

[4] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج2، ص 424.

سادسا: جمالية التورية

قبل الخوض في الحديث عن جمالية التورية، أردنا أن نقف على مفهوم الجمال والجمالية، وذلك أن التورية فن لا يخلو من الجمال الذي يترك في الفرد إحساسا بالحسن والمتعة والتذوق، كما أنها تترك أثرا كبيرا في نفوس وأذهان السامعين.

الجمال:

أ– لغة: يطلق الجمال على مجموعة من الصّفات التي تحمل في ذاتها جمالا فهو: "حسن، ملاحة، وسامة، بهاء، حالة ما هو جميل"[1]، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: " والجمال: مصدر الجَمِيل، والفعل جَمُل. وقوله عزّ وجّل: ولكم فيها جَمَال حين تُريحون وحين تسرحون؛ أَي بهاء وحسن.(...) وقد جَمُل الرجُل، بالضم، جَمَالاً، فهو جَمِيل وجُمَال، بالتخفيف(...) والجُمَّال، بالضم والتشديد: أَجمل من الجَمِيل. وجَمَّله أَي زَيَّنه. والتَّجَمُّل: تَكَلُّف الجَمِيل. والجَمَال يقع على الصُّوَر والمعاني؛ (...) والمجاملة: المعاملة بالجَمِيل، الفراد: المجَامِل الذي يقدر على جوابك فيتركه إِبقاءً على مَوَدَّته (...) وجامَل الرجلَ مُجامَلة: لم يُصْفِه الإِخاءَ وماسَحَه بالجَمِيل." [2]

ب– اصطلاحا: يعد مفهوم الجمال من المفاهيم المتداولة على الألسن بكثرة فالجميع يعرف الجمال ويتعامل معه، ويصف الأشياء بالجمال والحسن، لكنه من جهة أخرى يعد أيضا من المفاهيم التي يصعب تحديد مفهومها أو تعريفها بدقة، لذلك قيل: " قد يكون من السهل أن نرى "شيئا" فنصفه بالجمال، أو نرى "سلوكًا" لإنسان في أمر ما، فنصف ذلك السلوك بالجمال، ولكن من العسير تعريف الجمال !! ".[3]

---

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص85.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت، ج3، ص 202.

[3] صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، ط1، دب، 1986م، ص 23.

ولعل السبب الرئيسي في صعوبة التعريف بالجمال وتحديد ماهيته، هو أنه معنى من المعاني غير المحسوسة وغير المجردة، فهو يقوم على غيره من المفاهيم وليس على نفسه، وهو يختلف باختلاف تقدير الأفراد وتذوقهم لهذا المعنى، فما يراه شخص جميل وحسن، قد يراه شخص آخر دون ذلك، ولا يرى فيه من الجمال شيء".[1]

ورغم ما يدلي به البعض من صعوبة تعريف الجمال وغيرها من العقبات، إلا أن هناك من وجد له تعريفات متعددة ومختلفة، حيث عرفه جبور عبد النور في كتابه "المعجم الأدبي" بقوله: "هو ما يثير فينا إحساسا بالانتظام والتناغم والكمال وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة أو في أثر من صنع الإنسان".[2] ثم يردف مشيرا إلى صعوبة تحديد ماهية الجمال بقوله: "وإننا لنعجز عن الإتيان بتحديد واضح لماهية الجمال لأنه في واقعه إحساس داخلي يتولد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة ومتنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل ومعاييره، بل هي اكتناه انفعالي، وقد يتوصل التحليل إلى إدراك العناصر التي تؤلف في نظرنا الجمال في أحد الآثار ولكننا نظل عاجزين عن فهم الصلة الحقيقية بين هذه العناصر، أي العامل الذي يولد الإحساس بالجمال".[3]

فالإنسان بطبيعته الفطرية ميّال إلى الجمال وتذوقه، يحب كل ما فيه حسنا وجمالاً وملاحة وتناغمًا وانتظامًا، ويبعد عن كل ما هو قبيح ومذموم، وهذا ما يسمى بالإحساس الدّاخلي أو الشعور النفسي الذي يختلف باختلاف الأذواق والنفوس.

أما عن جمال النصوص وقيمتها، فالجمال لا بد أن يكون أساسا في كل نص ومعنًا خفيًا يترك أثرًا ما في نفسية المتلقي، وهو العنصر الأساسي الذي يبحث عنه كّل كاتب وأديب من أجل الوصول إلى أرقى المراتب ومن أجل إشباع أذواق المتلقي المختلفة، وفي هذا الصدد يقول محمد الصالح خرفي عن الجمال هو "القيمة الحقيقية

---

[1] ينظر: صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، ص 24.

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص85.

[3] المرجع نفسه، ص85.

للنص وهو الذي يسعى القارئ للحصول عليه بعيدا عن الايدولوجيا والأفكار التي يحملها والخلفيات التي يستند إليها والأهداف المرجوة منه".[1]

أما عن الجمال في القرآن الكريم فقد اهتم المولى عزّ وجلّ في كتابه العزيز بالحديث عن الجمال وأثره في النفوس وقد خص بعض الآيات بوصف أشياء مختلفة بالجمال، ومن ذلك وصفه تعالى للجنّة في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[2] وهذا يدل على ما في الجنة من نعيم ولذة للناظرين، وجمال يبهر الأعين والأنفس على حد السّواء.

ويتجلى الإحساس الجمالي في القرآن الكريم من خلال ترتيب ألفاظه ودلالاتها العميقة وانتظامها واتساقها مع بعضها البعض، لذلك فهو صورة مشرقة للجمال بل إن جمالية القرآن الكريم لا تضاهيها جمالية أي نص من النصوص فهو "يعتمد على تجسيد الصبغة الجمالية بما يستنهض الوجدان والفكر ويثير في النفس حب الاستطلاع والمشاهدة لما يصوّره من مظاهر الزينة وروائع الجمال".[3] فنحن نرى الجمال والزينة في كل مخلوقات الله ذلك أنه أبدع سبحانه وتعالى في كل شيء فصوره بأحسن الصور وأجملها، كما أنه حدثنا في كتابه العزيز عن الجمال في شتى مجالات الحياة، في الكلام، والمشي، والطهارة، والمعاملة، والأخلاق وتلاوة القرآن وغيرها من الأمور التي يجب إضفاء الجمال عليها كي تصبح جميلة، فكان النص القرآني جميل في أسلوبه ومضامينه ومفرداته ومعانيه أيضا سواء الظاهرة أو الخفية.

الجمالية:

بما أننا تطرقنا لتعريف الجمال وجب علينا التطرق لمفهوم الجمالية أيضا.

---

[1] محمد الصالح خرفي، بين ضفتين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دط، 2005م، ص 2.

[2] سورة النحل، الآية 6.

[3] محمد عبد الواحد حجازي، الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط1 1998م، ص 37.

أ– لغة: فالجمالية هي مصدر صناعي مشتق من الجمال، حيث يقال أن المصدر الصناعي هو كل لفظ زيد في آخره حرفان هما: الياء المشددة وبعدها تاء التأنيث المربوطة، فيصبح بعد هذه الزيادة اسما دالا على معنى مجرد لم يكن يدل عليه من قبل.[1] ويصبح بذلك يحمل معاني كثيرة زائدة عن المعنى الأول.

ب– اصطلاحا: تعرف الجمالية في الاصطلاح على أنها: " تمثل رؤية خاصة للفن وطريقة لملامسة شغاف الجميل في النص لأجل تذوق فني يكشف حقيقة تلك النصوص وأثارها على الفرد الباحث أو الأفراد الآخرين المتذوقين".[2] ويمكن القول أن مفهوم الجمالية أصبح مفهوما أكثر توسعا من مفهوم الجمال ذلك أنها تحمل في ذاتها معاني كثيرة لا يحملها الجمال، فهي أصبحت منهاجا يقوم على أسس وقواعد معينة كغيرها من المناهج الأخرى، التي تسعى إلى تحقيق المتعة والكفاية الجمالية.[3] ويفهم من هذا أن الجمال والجمالية هما رمزان أساسيان يعبران عن الرقي والمتعة والفن، ويجب ألا يخلو أي نص من النصوص أو أي إنتاج فني من تحقيق الجمال في مضمونه والوصول إلى الجمالية كغاية مرجوة.

وبعدما تطرقنا لمفهوم الجمال والجمالية نقف الآن عند التورية وجمالها كونها إحدى الفنون التي تحقق جمالا باهرا في القرآن الكريم أو في البلاغة العربية ومن أهم السمات التي تحققها التورية ما يلي:

1– تمكين المتكلم من إخفاء المعاني[4]: وهذا عندما يخشى المتكلم التصريح بمعنى من المعاني، وذلك لسبب من الأسباب فيلجأ إلى إخفائه وإظهار معنى آخر يتوهم السامع بأنه المراد من الكلام، وخير مثال على ذلك ما سبق ذكره عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين سُئل وهو في طريق هجرته عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فأجاب بقوله: هاد يهديني"، ففهم الرجل أنه أراد المرشد الذي يرشده إلى الطريق. بينما أراد أبو بكر أنه هاد يهديه إلى دين الله، لكنه لم يشأ أن يعلم الناس بوجود الرسول، لذلك أخفى أمره عن طريق هذه التورية اللطيفة، مع التزامه بالصدق في الكلام، ونلاحظ أن هذا واضح من خلال تسمية هذا الفن بالتورية فمن خلاله يتبادر إلى

---

[1] ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط8، 1987م، ج3، ص 186.

[2] محمد الصالح خرفي، بين ضفتين، ص 22.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 30.

[4] أم بشرى، مقال بعنوان: التورية في البلاغة، منتديات بوابة العرب: http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=519026 سا 40: 09، 15 مارس 2016.

أذهاننا أن فيها إخفاء وستر للمعاني، لذلك قيل: "ومادة "ورى" تدور في اللغة حول الاختفاء والستر. يقال: واريت كذا إذا سترته"[1].

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2]. ومن خلال هذا الستر والحجب للمعاني تتحقق جمالية التورية وتترك في نفوس السامعين أثرا جميلا.

2- إدراك المعنى البعيد بعد طول تأمل وإطالة النظر[3]: وفي هذا الصدد تقول عائشة حسين فريد: "هذا والتورية إذا وقعت في مكانها من الكلام أعطت المعاني الوارفة الظلال والتي تبهر السامع وتسحره، لأن الناس تعارفوا على أن الشيء إذا نيل بعد تعب كان له وقع في النفس، ورونق في القلب، وهكذا التورية التي تطلع علينا بوجه تخاله المعنى المراد، وتظنه الشيء الذي يصبوا إليه الفؤاد فيكاد يقنع به ذي الهمة، ولكن الطموح يظل يفتش وينقب حتى يعثر على اللؤلؤ المكنون والذهب الذي من أجله تعبت النفوس للحصول عليه"[4]. ويفهم من هذا أن التورية نمط من التعبير له أسرار وخفايا عديدة، فهي تجعل السّامع يبحث وينقب عن المعنى الحقيقي في شوق ولهف وبذلك تترك فيه أثرا جميلا، كما أنها تعطي للمعاني سحرًا وبراعة، وهذا ما يحقق إمتاعًا وإعجابًا لدى السّامع، خاصة حينما يدرك المعنى المقصود أي البعيد بعد طول نظر وتأمل، وبعد أن كان يظن أن المراد هو ذلك المعنى القريب، أي أنه يقوم بحركة عكسية ينتقل فيها من المعنى غير المقصود إلى المعنى المقصود، وهذا يتطلب نوعا من الذكاء والفطنة والتفكير الطويل.

---

[1] عبد العظيم محمد إبراهيم المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ص 420.

[2] الأعراف، الآية 26.

[3] منتديات بوابة العرب، المرجع السابق.

[4] عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، ص 77.

3- الإعانة على المزاح والدعابة وميلها إلى الطرافة والفكاهة[1]: فهي نوع من التعابير التي تستخدم للمزاح والفكاهة إذ يستعملها المتكلم بغرض المزاح والضحك، وذلك بإخفاء المعاني الحقيقية وإظهار معاني للسخرية من أجل الدعابة وتضليل السامع.

4- إعمال الفكر ولفت انتباه السامع: وذلك من خلال المعنى المخفي أو المستور وراء المعنى القريب، فمن دون تفكير وتأمل لا يدرك السامع أي معنى من المعاني يقصده المتكلم لذلك فهي توجب الانتباه والتركيز حتى يدرك المعنى القريب والمعنى البعيد، كما أنها تجعل المتكلم يصل إلى غايته المرجوة من خلال إخفاء المعاني، فتكون التورية قد أحدثت حركة ذهنية سريعة أثناء الانتقال بين المعنيين، وإن لم يكن هناك انتباه من طرف السامع فقد تختلط عليه المعاني أو يعدها سخرية ومزاحا أو تلاعبا بالألفاظ.

ومن جماليات التورية أيضا أنها تساعد على إثراء اللغة وزيادة دلالات ألفاظها حيث تجعل للفظ الواحد معنيين مختلفين، ولا يدرك المعنى المقصود فيها إلا من خلال قرينة أو لازمة تكون خفية وتدل على المعنى المراد.

إضافة إلى هذا يمكن أن نستدل بأقوال بعض العلماء في التورية وجماليتها، ومن ذلك ما ذكره السيوطي عن الزمخشري أنه قال: "ألا ترى بابا في البيان أدق وألطف من التورية، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم أجمعين"[2].أما العلوي فقال عنها "ولكنها غير خالية عن تفنن في الكلام واتساع فيه، وتدل على تصرف بالغ، وقوة على تصريف الألفاظ واقتدار على المعاني"[3]، كما ذكر عبد القادر حسين أن الصفدي يقول في التورية "من البديع ما هو نادر الوقوع، ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام، فإنه نوع تقف الأفهام حسرى دون غايته عن مرمى المرام".[4]

---

[1] ينظر: أم بشرى، مقال بعنوان: التورية في البلاغة، منتديات بوابة العرب:

http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=519026

سا 09:40، 15 مارس 2016.

[2] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م، ص 283.

[3] العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج3، ص 36.

[4] عبد القادر حسين، فن البديع، ص 67.

ولا شك أن اهتمام هؤلاء العلماء بفن التورية، نابع من جماليتها وقيمتها التي تضفيها على المعاني وكذا منزلتها الرفيعة عندهم، يقول ابن حجة الحموي: " قلت: قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الإنسان من العين، وسموها في البلاغة سمو الذهب على العين، وقد ثبت أن خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة وأفكارهم لا تقصد مظانها وإن كانت سليمة صحيحة"[1]، وهذا وإن دل على شيء إنما يدل على الجمالية البالغة للتورية والقيمة التي تحملها، وهذا ما جعل المتقدمون يعنون بها ويجعلونها في أسمى المراتب، ويصنفونها كفن من فنون البديع المعنوي.

جمالية التلقي عند ياوس:

بما أن التورية هي عنصر من العناصر البلاغية التي تحدث جمالا ومتعة من خلال تأثيرها في نفسية المتلقي وإحداث الشعور بالإعجاب والقبول لديه، ذلك لأن المتلقي أو القارئ هو أحد العناصر الثلاثة في العملية الأدبية، إذ لابد لمنتج النص أن يراعي ذوق المتلقي الذي سيستقبل عمله وإنتاجه، وقد أشار إلى ذلك عبد الناصر حسن حين قال: "فالعلاقة بين الأدب والقارئ تشتمل على دلالة جمالية وتاريخية وهذه الدلالة الجمالية تعتمد أول ما تعتمد على أنه بهد لمرة الأولى من القراءة يقارن القارئ قيم العمل الجمالية مع أعمال أدبية مقروءة من قبل"[2]، وهذا يدل على أن القارئ غالبا ما يتأثر بالعمل الأدبي ويثير إعجابه فيحدث بذلك تأثيرا على نفسيته وشعورا بالجمال والمتعة، وهذا ما ذهب إليه ياوس "... والشيء الثاني هو مقولة الحسن الجمالي Aisthesis وفيها يؤكد ياوس اعتماد الإبداع على التلقي محاولا أن يضع تاريخا ملخص للحس الجمالي باختيار جملة من النصوص النموذجية، منذ القدم تؤدي فيها الملاحظة والإدراك دورا مهما، أما بالنسبة للأشكال الحديثة فقد نظر إليها ياوس على أنها تمثل نوعين مختلفين بينهما تنافس".[3]

---

[1] ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، ج 2، ص 44.

[2] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التلقي بين ياوس وايزر، كلية الأداب، جامعة عين شمس، دار النهضة العربية، دط، دب، 2002، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 28.

وهذا لأن النص الإبداعي لابد أ يكون موجها لطبقة معينة من القراء، فلكل قارئ ومتلق ذوقه وتطلعاته إلى الإحساس بالجمال، لذلك يجب على منتج النص أن يراعي هذا الذوق الذي يتطلع إلى الجمال والإحساس بالجمالية.

كما أن موقف المتلقي من النص وحكمه الذي يصدره، له دور مهم في تقييم العمل الأدبي وإضافة الملاحظات والأحكام له لأن النص هو الرابط بين صاحب النص ومتلقيه، "على اعتبار أن التوحد الجمالي لا يمكن أن يكون تلقيا سلبيا من قبل الجمهور المشاهد، فهو شأنه مثل كل عمليات الاتصال حركة متزاوجة بين المراقب المحرر جماليا وموضوعه غير الواقعي، بحيث تستطيع فيها الذات من خلال متعتها الجمالية أن تلم بنطاق كامل من المواقف"[1]، وهذا ما يدل على أن ياوس في حديثه عن جمالية التلقي لا يفصل بين القارئ والنص باعتباره عنصرا رئيسيا في هذه العملية الأدبية، لأن القارئ لابد وأن يصدر أحكاما وآراء مختلفة تخص النص الذي قرأه وفي هذا تكمن جمالية هذا النص وقيمته.

[1] عبد الناصر حسن محمد، نظرية التلقي بين ياوس وايزر، ص 29.

وختاما لهذا الفصل يمكننا الحديث عن التورية كفن من فنون البديع والبلاغة لا يمكن حصره في التعريفات والمفاهيم النظرية وحسب، بل يجب التوسع فيه وإعطائه حقّه من البحوث المتسعة، ذلك لأنه فن من الفنون الأدبية والبلاغية التي تضفي لطفًا وجمالًا على المعاني والجمل التي تقع فيها، وما يثبت هذا هو وجودها في أقدس نص عربي يَحتكم إليه في البلاغة والفصاحة كل باحث وعالم وبلاغي وأديب، ألا وهو النص القرآني الكريم، فممّا لا شك فيه أن القرآن الكريم نص يزخر بأساليب البديع بوجه خاص والأساليب البلاغية بوجه عام، ولهذا فقد ارتأينا في هذا الفصل النظري أن نعرف التورية ونبين أقسامها مرورًا بنشأتها وسرّ جماليتها وبلاغتها ،كما تطرقنا لبعض آراء العلماء حول وجود التورية في القرآن الكريم وعدمه، وقد حاولنا الإلمام بكل ما يتعلق بالتورية، وما جاء فيها من آراء العلماء القدامى ذلك أنها ليست من الفنون العصرية أو الجديدة في بلاغتنا العربية، بل هي من أعرق وأقدم الأساليب التي استعملت في شعر الفحول ونثرهم على حد السواء، وفي كلامهم اليومي وفي معاملاتهم أيضا إضافة إلى وجودها في كلام سيد الخلق عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على قيمة ودلالة التورية في كلام السلف. وسيتضح مفهومها جيدا في الجانب التطبيقي بعدما نقوم بالدراسة التطبيقية على السورة المختارة من القرآن الكريم.

الفصل الثاني

دراسة تطبيقية لسورة النساء

أولا: تعريف سورة النساء وسبب تسميتها.

ثانيا: أسباب نزول سورة النساء.

ثالثا: فضائلها.

رابعا: جدول إحصائي للتورية في سورة النساء.

خامسا :بلاغة التورية في سورة النساء.

توطئة:

قبل الولوج إلى مضامين هذا الفصل أردنا أن نقف بين يدي سورة "النساء" التي اتخذناها نموذجا لدراستنا التطبيقية، فهذه السورة من أطول سور القرآن الكريم بعد سورة البقرة، حيث افتتحها الله سبحانه وتعالى بخطاب الناس جميعا ودعوتهم إلى عبادته وخوفه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[1] فهذا تذكير للناس جميعا أنهم خلقوا من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه السلام، وأن عليهم أن يتقوا الله الذي خلقهم من أب واحد وأنعم عليهم بنعم كثيرة، فكان هذا تمهيد جميل افتتحت به هذه السورة، ثم توالت بعده مجموعة من الأحكام الشرعية من زواج وأيتام ونساء ومواريث وكذا الحقوق الزوجية وأحكام الرضاعة، وغيرها من الأحكام المختلفة، فكانت السورة بمثابة وثيقة تشريعية مهمة لتناولها الجان التشريعي بإسهاب وتبيان الحقوق والواجبات والوصايا العامة، وقبل أن نخوض في الدراسة التطبيقية أردنا أن نعرف بالسورة وأسباب نزولها وبعض من فضائلها.

أولا: تعريف سورة النساء وسبب تسميتها

سورة النساء من السور المدنية، نزلت بالمدينة، وهي من السور الطوال الأوائل حيث تعد أطول سورة بعد سورة البقرة. عدد آياتها مائة وخمسة وسبعون آية، وعدد كلماتها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وأربعون، وعدد حروفها ستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا، واسمها المشهور هو سورة النساء، وتسمى أيضا سورة النساء الكبرى، وتسمى سورة الطلاق: النساء الصغرى. [2] أما عن ترتيبها في النزول فقد نزلت بعد سورة الممتحنة التي تقول الروايات إن بعضها نزل في غزوة الفتح في السنة الثامنة للهجرة، وبعضها نزل في غزوة الحديبية قبلها في السنة السادسة، كما أنها لم تكن تنزل كلها دفعة واحدة في زمن واحد، فقد كانت الآيات تتنزل من سور متعددة ثم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضع كل منها في موضعه من سورة بذاتها. [3] والسورة الواحدة –على هذا– كانت تظل مفتوحة فترة من الزمن تطول أو تقصر، وقد تمتد عدة سنوات، وفي سورة البقرة كانت هناك آيات من

---

[1] النساء، الآية 1.

[2] ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ج2، ص 681

[3] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ، ج1، ص 554.

أوائل ما نزل في المدينة، وآيات من أواخر ما نزل من القرآن[1]، ويفهم من هذا أن الوحي كان ينزل على سيدنا محمد مفرقا وليس دفعة واحدة، يقول سيد قطب: "فمنها ما نزل بعد سورة الممتحنة في السنة السادسة وفي السنة الثامنة كذلك، ولكن منها الكثير نزل في أوائل العهد بالهجرة، والمنتظر –على كل حال– أن يكون نزول آيات هذه السورة قد امتد من بعد غزوة أحد في السنة الثالثة الهجرية إلى ما بعد السنة الثامنة، حين نزلت مقدمة سورة الممتحنة"[2]. لكن العلماء اختلفوا في نزول هذه السورة فهناك من قال إنها نزلت بعد سورة البقرة، وهناك من قال أنها نزلت بعد آل عمران. [3]

وعن تسمية سورة النساء يقول محمد الطاهر بن عاشور: "سميت هذه السورة في كلام السلف سورة النساء".[4] وقال أيضا " وكذلك سميت في المصاحف وفي كتب السنة وكتب التفسير ولا يعرف لها اسم آخر، لكن يؤخذ مما روى في صحيح البخاري عن ابن مسعود قوله " لنزلت سورة النساء القصرى" يعني سورة الطلاق، أنها شاركت هذه السورة في التسمية بسورة النساء، وأن هذه السورة تميز عن سورة الطلاق باسم سورة النساء الطولى، ولم أقف عليه صريحا".[5] وجاء في كتاب "بصائر ذوي التمييز" للفيروز أبادي: "واسم السورة سورة النساء الكبرى واسم سورة الطلاق سورة النساء الصغرى"[6]، وهذا لما تحتويه هذه السورة من أحكام خاصة بالنساء والزواج والطلاق وغيرها، وكذلك سورة الطلاق لأنها احتوت على أحكام الطلاق. "ووجه تسميتها بالإضافة إلى النساء أنها افتتحت بأحكام صلة الرحم، ثم بأحكام تخص النساء، وأن فيها أحكام كثيرة من أحكام النساء والأزواج والبنات، وختمت بأحكام تخص النساء"[7]، بالإضافة إلى أغراض وأحكام كثيرة أغلبها تشريعات تخص الأيتام والنساء وإقامة العدل في معاملة هذه الفئة المستضعفة من المجتمع، كما أشار المولى عز وجل إلى عقود

---

[1] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 554.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 554.

[3] ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص 211.

[4] المصدر نفسه، ص 211.

[5] المصدر نفسه، ص 211.

[6] الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ، 1996م، ج1، ص 169.

[7] محمد الطاهر بن عاشور، ج4، ص 212.

الزواج والصداق والميراث وبيان الحلال والحرام وحفظ الأموال والحث على الجهاد والهجرة في سبيل الله، يقول سيد قطب: "هذه السورة تمثل جانبا من الجهد الذي أنفقه الإسلام في بناء الجماعة المسلمة، وإنشاء المجتمع الإسلامي، وفي حماية تلك الجماعة، وصيانة هذا المجتمع، وتعرض نموذجا من فعل القرآن في المجتمع الجديد، الذي انبثق أصلا من خلال نصوصه، والذي نشأ ابتداء من خلال المنهج الرباني، وتصور بهذا وذلك طبيعة هذا المنهج في تعامله مع الكائن الإنساني"[1] ،ويقول أيضا: "كما تصور طبيعة هذا الكائن وتفاعله مع المنهج الرباني ... تفاعله معه وهو يقود خطاه في المرتقى الصاعد من السفح الهابط إلى القمة السامقة ... خطوة خطوة، ومرحلة مرحلة ... بين تيارات المطامع والشهوات والمخاوف والرغائب؛ وبين أشواك الطريق التي لا تخلوا منها خطوة واحدة؛ وبين الأعداء المتربصين على طول الطريق الشائك !"[2] ونفهم من هذا أن سورة النساء كغيرها من السور نزلت لحماية الإسلام والمسلمين وحفظهم من الشر والأشرار وإخراجهم من سيطرة المجتمع الجاهلي الظالم، ورفع مكانتهم وإنشاء مجتمع إسلامي طاهر وعفيف، عادل ومنظم، بعد أن كان يعيش في الجهل والظلم والتجبر والتخلف دون استناد إلى منهاج معين أو طريق مبين.

فكانت هذه السورة بمثابة النقطة الفارقة أو الفاصلة بين المجتمع الجاهلي القديم والمجتمع الإسلامي الحديث الذي بني على الترابط والإتحاد بين أفراد أسرته من زوجة وأولاد وأيتام، دون أخذ حقوق المستضعفين من الناس.

ثانيا: أسباب النزول

لكل سورة من سور القرآن سبب نزلت لأجله، وقد تكون كل آية من آياتها نزلت لسبب معين أو مناسبة ما، ذلك أن القرآن الكريم كان ينزل مفرقا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ينزل إما لينبذ الواقع السيّء الذي يعيشه المجتمع الجاهلي أو ليغرس قيما جديدة ينبني عليها المجتمع الإسلامي الجديد.

قال تعالى:﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[3]، ذكر العسقلاني في كتابه العجائب في بيان الأسباب عن سبب نزول هذه الآية فقال: " نقل

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 555.

[2] المصدر نفسه، ص 555.

[3] النساء، الآية 2.

الواحدي عن الكلبي قال: نزلت هذه الآية في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه، فترافعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية، فقال العم: أطعنا الله وأطعنا الرسول، نعوذ بالله من الحوب الكبير، فدفع إليه ماله"[1]. وقال أيضا: " قول آخر أخرجه الطبري من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كان (أهل) الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان، ويأخذ الأكبر وحده المال فنزلت"[2]. وهذا دليل على حرص الله سبحانه وتعالى على أموال النساء واليتامى، لأن هذه الفئة من المجتمع مستضعفة ويُجار عليها من طرف الأقوياء، فنزلت الآية لحفظهم وصون أموالهم وإرجاع حقهم المسلوب، أما عن قوله تعالى في نفس الآية ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [3]، فذكر العسقلاني: "قال السدي: كان أحدهم يأخذ الشاة المسمنة من غنم اليتيم ويجعل بدلها الشاة المهزولة، ويقول: شاة بشاة، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح الدرهم الزيف ويقول: درهم بدرهم. أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أسباط بن نصر عن السدي، وذكر الطبري وغيره عن الزهري والنخعي والضحاك وغيرهم نحوه"[4]، ولعل هذا ما يدل على ما كان سائدا في المجتمع الجاهلي من ظلم وسلب لحقوق الغير واستضعاف للضعفاء فجاء القرآن الكريم لمحاربة هذا الفساد وتبيين الحق وإخراج الناس من الظلمات إلى النور فكان بذلك مجاريا للواقع الحي المعاش آنذاك فكل آية نزلت لسبب من الأسباب.

قوله تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[5]، فجاء في صفوة التفاسير للصابوني عن سبب نزول هذه الآية أنه عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة (رضي الله عنها) عن هذه الآية فقالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا

---

(1) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحميد محمد الأنيس، دار ابن الجوزي ، دط، دب، دس، ج2، ص 824.

(2) المرجع نفسه، ص 824، 825.

(3) النساء، الآية 2.

(4) العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، ص 825.

(5) النساء، الآية 3.

عن ذلك إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن على سنتهن في الصّداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. [1]

وقوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[2]، جاء في تبيان سبب نزول هذه الآية قول العسقلاني: "أخرج عبد بن حميد والطبري وابن أبي حاتم من طريق هيثم عن سيار عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك ونزلت ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (...) وجماعة قالوا: هذا خطاب للأولياء وذلك أن ولي المرأة كان إذا زوجها فإن كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها قليلا ولا كثيرا وإن كان زوجها غريبا حملوها إليه على بعير ولا يعطونها من مهرها غير ذلك، وكذلك كانوا يقولون لمن ولدت لها بنتا هنيئا لك النافعة، أي يأخذ في مهرها إبلا يضمه إلى إبله فيكثرها بها فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم أن يعطى الحق لأهله."[3]

وقوله تعالى:﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[4]، قال الشافعي: " نزلت في حصن بن أبي قيس تزوج امرأة أبيه: كبيشة بنت معن، وفي الأسود بن خلف بن المطلب تزوج امرأة أبيه، فاختة بنت الأسود وفي منظور بن زبان تزوج امرأة أبيه: مليكة بنت خارجة"[5] ، فقد نزلت هذه الآية لتحريم هذا الزواج ذلك لأنه يؤدي إلى نتائج سيئة ويتسبب في اختلاط الأنساب ويؤدي إلى مشاكل في الأسرة وفي المجتمع.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾[6]، قال العسقلاني: "قال أكثر المفسرين: نزلت في في اليهود حين كتموا صفة محمد –صلى الله عليه وسلم– ولم يبينوها للناس، وهم يجدونها مكتوبة عندهم في كتبهم، وقال الكلبي: هم اليهود بخلوا أن يصدقوا من أتاهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في كتابهم، وقال مجاهد: الآيات الثلاث إلى قوله ﴿عَلِيمًا﴾ نزلت في اليهود".[7]

---

[1] الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الربعة، مجلد أول، 1402هـ، 1981م، ج1، ص 258.

[2] النساء، الآية 4.

[3] العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب، ص 829.

[4] النساء، الآية 22.

[5] الشافعي، أسباب نزول القرآن، تح: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1422هـ، 1992م ج1.

[6] النساء، الآية 37.

[7] الشافعي، أسباب نزول القرآن، ص، 152.

ثالثا: فضائل سورة النساء

لا شك أن لكل سورة من سور القرآن الكريم وكل آية من آياته فضل كبير وفوائد جمة ينتفع بها المسلم، سواء بقراءتها وتلاوتها أو بتدبر معانيها وفهم دلالاتها والوقوف عند كل لفظ من ألفاظها، ومن تعلم القرآن وحفظه واقتدى به في شؤون الحياة العامة فقد اختار سبيلا منيرا، وسورة النساء واحدة من سور القرآن الكريم ولها من الفضل والفوائد ما لغيرها من السور، وقد جاء في بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي أنّه "روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل من ورث ميراثا، وأعطى من الأجر كمن اشترى محرّرًا، وبرئ من الشرك، وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم، وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ هذه السورة كان له بعدد كل امرأة خلقها الله قنطارا من الأجر، وبعددهن حسنات ودرجات، وتزوج بكل حرف منها زوجة من الحور العين، ويروى: يا علي، من قرأ سورة النِّساء كتب له مثل ثواب حملة العرش، وله بكل آية قرأها مثل ثواب من يموت في طريق الجهاد".[1]

كما ورد أيضا عن فضل السورة في فضائل القرآن للقاسم بن سلام أنه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:" من قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ليلة كان أو كتب من القانتين".[2]

وفي فتح القدير للشوكاني جاء في فضائل السورة "وقد ورد في فضل هذه السورة: ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود قال: إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] و ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾[4]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[5]، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا

---

[1] الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ص 177.

[2] أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح مروان العطية، محسن خزابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1995م، 1415هـ، ج1 ، ص 237.

[3] النساء، الآية 40.

[4] النساء، الآية 31.

[5] النساء، الآية 48.

اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[1]"[2]، وجاء أيضا في نفس السياق قوله:" وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن رجل عن ابن مسعود قال: خمس آيات من النساء هي أحب إلي من الدنيا جميعا: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ ﴾[3]، ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[4]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[5]، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾[6] ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[7] حَكِيمًا﴾[7] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[8] ورواه ابن جرير".[9]

ومما جاء أيضا في الفضائل قول الشوكاني: "ثم رويّ من طريق صالح المري عن قتادة عن ابن عباس قال: ثمان آيات نزلت في سورة النساء هن خير لهذه الأمة ما طلعت عليه الشمس وغربت، وذكر ما ذكره ابن مسعود وزاد: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[10]"[11]، كما جاء أيضا عن فضل سورة النساء أنه أخرج أحمد وابن الضريس ومحمد بن نصر والحاكم وصححه والبيهقي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أخذ السبع فهو خير" وقال أيضا عليه

---

(1) النساء، الآية 64.

(2) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ ج1 ،ص 178.

(3) النساء، الآية 31.

(4) النساء، الآية 40.

(5) النساء، الآية 48.

(6) النساء، الآية 64.

(7) النساء، الآية 110.

(8) النساء، الآية 152.

(9) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص 478.

(10) النساء، الآية 26-27-28.

(11) الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص 478.

الصلاة والسلام: أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل. [1]

ومن خلال هذه الأحاديث المروية نكتشف الفضل العظيم لهذه السورة والفوائد التي يمكن أن نحصل عليها من خلال قراءة آياتها وحفظها والتدبر فيها، فضلا عما جاء فيها من أحكام وتشريعات التي تفيد المسلم في شؤون حياته ومعيشته العامة.

رابعا: جدول إحصائي للتورية في سورة النساء

رقم الآية	الآية	لفظ التورية	نوعها
01	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	- الأرحام	مجردة
03	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾	- تعولوا	مرشحة
04	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾	- نحلة	مرشحة
21	﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾	- أفضى	مرشحة
23	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ	- حجوركم	مبنية

[1] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص 478.

	وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾		
35	﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾	– بينهما	مبنية
43	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	– لامستم	مجردة
46	﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	– غير مسمع – راعنا	مجردة مجردة
57	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾	ظلا	مرشحة
94	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا	ضربتم	مبنية

	تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾		
102	﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ ﴿مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾	يميلون	مجردة
174	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	برهان	مجردة

التعليق على الجدول:

إن سورة النساء عبارة عن مجموعة من الأحكام والتشريعات تخص الأيتام والنساء وإقامة العدل في معاملة هذه الفئة المستضعفة من المجتمع، وقد تميزت هذه السورة بأسلوب بلاغي رفيع ومن سمات هذا الأسلوب التورية التي وردت في ثلاثة عشر موضوع بأنواعها المختلفة، فالنوع الأول الذي بلغ عددا أكبر هو التورية المجردة، حيث وردت ستة مرات، وتليها التورية المرشحة بثلاثة مرات، وأخيرا التورية المبنية التي وردت في أربع مواضع، وقد توصلنا إلى هذا النتيجة من خلال الجدول الإحصائي الذي قمنا به والممثل في الجدول أعلاه.

خامسا: بلاغة التورية في سورة النساء

وردت التورية في سورة النساء الآية (01) في لفظ "الأرحام"، فقد استخدم الله عز وجل هذا اللفظ وهو يحمل معنيين إذ أن المعنى اللغوي أي المعنى القريب له هو جمع مفردة رحم وهو مكان الحمل عند المرأة "الأرحام جمع رحم، وهي مكان الحمل"[1].

لكن المعنى القريب الذي يفهم من لفظ الأرحام ليس هو المقصود والمراد من كلامه عز وجل، إنما المراد هو المعنى البعيد منه وهو المعنى الحقيقي الذي يتناسب مع المعنى العام للآية الكريمة ألا وهو معنى القرابة والصلة

[1] علي بن عثمان المارديني، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من غريب، تح، ضاحي عبد الباقي، دار بن قتيبة، الكويت، دط، دس، ص69.

القوية التي تربط بين أفراد الأسرة كلها.والتي يجب على الناس أن يحترموا هذه العلاقة والصلة التي تربطهم بعضهم ببعض وهي علاقة مقدسة عند الله عز وجل لذلك فقط ربط اتقاءه باتقاء الأرحام من أجل أن يثبت قوة وصلابة هذه العلاقة التي تجمع الإنسان بأقاربه، ويدل معنى الاتقاء على عدم قطع هذه الصلات والحفاظ عليها حتى لا تضعف، يقول أبو زهرة في تفسيره "ومعنى اتقاء الأرحام ألا تقطعوها بأن يجعلوها وقاية من المودة الواصلة والأرحام هنا هي كل الصلات الإنسانية التي وصل بها بين الخلق ،بخلقهم من نفس واحدة وبالأولى ندخل الأرحام الخاصة، والقرابات القريبة "[1]. بمعنى أن الرحم يطلق على جميع الأقارب الذين تربطهم علاقة أسرية واحدة فكل البشر خلقوا من نفس واحدة، وقد عبر الله عز وجل بهذه الكلمة لما فيها دلالات قوية ومتعددة فالرحم هو أصل لأشياء واحدة كلها تتشابه فيما بينها وهذا ما يولد تلك العلاقة المتينة، كمثل الإخوة الذين يولدون من أم واحدة أي من رحم واحد فهذا ما يجعل علاقة الأخوة بينهم متينة ومترابطة تجمع كل مشاعر الحب والرحمة والعطف والتآخي، إذن فاستخدام الله عز وجل للفظ الأرحام بدل آخر كان فيه حكمة كبيرة وذلك لما يحمله اللفظ من معاني الرحمة والقرابة المتينة والصلات التي لا تنقطع. وهذا تذكير منه عز وجل للناس بأهمية وصل هذه الأرحام وعدم الإساءة إليها لأن البشر هم إخوة لأب وأم واحدة هما آدم وحواء وكلهم إخوة في الدين والإيمان بغض النظر عن القرابات القريبة لكل فرد من إخوة وأخوات وأعمام وأخوال..... وغيرهم، وقد أشار الله عز وجل إلى ضرورة صلة الرحم واحترامها من خلال حث المؤمنين على طاعة الوالدين والإحسان إليهما لأنهما أصل هذه العلاقة حيث قال تعالى:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[2]. فنلاحظ أن الله عز وجل كما قرن بين اتقاءه واتقاء الأرحام، قرن أيضا بين عبادته وطاعة الوالدين، وجعل لمن يصل هذه العلاقة جزاءا حسنا وجنات النعيم، وتوعد من يقطعها بالعذاب والسخط، يقول محمد بن علي الشوكاني: "واتقوا قطع مودة الأرحام فإن قطع الرحم من أكبر الكبائر، وصلة الأرحام باب لكل خير فتزيد في العمر وتبارك في الرزق وقطعها يسبب لكل شر ولذلك وصل تقوى الرحم بتقوى الله"[3].

---

[1] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، دب، دط، دت، ج3، ص480.

[2] الإسراء، الآية 23.

[3] الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص481.

وقد كان لاستخدام هذه التورية في هذه الآية الكريمة دور كبير في تأكيد المعنى وتقويته وذلك من أجل إلزام الناس باتقاء الأرحام ووصلها والتأكيد على أنهم خلقوا من نفس واحدة وأن الله عز وجل هو الذي خلقهم ولذلك يجب عليهم اتقاءه واتقاء أرحامهم بالطاعة والإحسان إليهم. وبهذا كانت أيضا جمالية التورية وبلاغتها بارزة من خلال هذا اللفظ الذي يوهم السامع لأول مرة أن المعنى اللغوي القريب هو المقصود، لكن مع دقة النظر وطول التأمل يدرك المتلقي أن المعنى المقصود هو ذلك المعنى المخفي أو البعيد المورى عنه فيكون بهذا قد انتقل نقلة سريعة بين معنيين مختلفين لكلمة واحدة، وهذا ما يساعد عل إثراء اللغة وتوسيع المعاني والدلالات. وجعل المتلقي متشوقا لمعرفة المعنى المقصود والمعنى غير المقصود.

وبهذا فقد شكلت التورية في هذه الآية الكريمة صورة بليغة ساعدت على تأكيد المعنى وإعطاءه دلالات أوسع وأشمل من خلال اختيار لفظ "الأرحام" بدل لفظ آخر لأنه يعبر عن المعنى المراد بقوة أكثر من أي لفظ آخر.

وردت التورية أيضا في الآية (03) في لفظ "تعولوا" وهذه الكلمة تحتمل معنيين فالمعنى الأول هو من كثرة العيال والإنفاق عليهم ،لأن من يكثر من الزوجات يكثر عياله ويتوجب عليه الإنفاق عليهم ويقال:"أعال: إذا كثر عياله"[1]. وهذا هو المعنى الظاهر الذي يفهم من ظاهر الآية، لكن الله عز وجل استخدم هذه الكلمة لمعنى آخر وهو المعنى البعيد من هذه التورية حيث يعني العول: الجور والميل عن الحق، لأن الرجل إذا عدد الزوجات فإنه سيميل إلى إحداهن أو سيجور على حقوقهن، لذلك نبه الله عز وجل على هذا وأمرهم بالعدل والقسط وما يرشح هذا المعنى هو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾. لأن العدل هو القسط وهو مقابل للعول والجور والعدل المقصود هو العدل بين الزوجات في النفقة والتسوية بينهن جميعا "وخوف عدم العدل معناه عدم العدل بين الزوجات أي عدم التسوية، وذلك في النفقة والكسوة والبشاشة والمعاشرة وترك الضر في كل ما يدخل تحت قدرة المكلف وطوقه دون ميل القلب[2] ". وهذا يخص كل من لا يستطيع العدل والمساواة بين من ينفق عليهم وقد جاءت هذه التورية في لفظ "تعولوا" ،لأنها تعبر عن المعنى بدلالات أوسع وأكثر من غيرها من الألفاظ فجاءت لتؤكد كراهية الجور والظلم وتبين للناس طريق العدل الذي هو أساس لبناء الأسرة أولا، ثم المجتمع ثانيا

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430 هـ، 2009م، ص597.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص226..

يقول سيد قطب " والعدل أجدر أن يراعى في المحضن الذي يضم الأسرة. وهي اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي كله، ونقطة الانطلاق إلى الحياة الاجتماعية العامة، وفيه تدرج الأجيال وهي لدنة رخصة قابلة للتكيف، فإن لم يقم على العدل والود والسلام، فلا عدل ولا ود في المجتمع كله ولا سلام".[1]

وقد كان لذكر هذه التورية أثرا كبيرا في تقوية المعنى المراد والتأكيد عليه من خلال ذكر العدل وضده العول أي الجور مع تكرار لفظ "خفتم" الذي يدل على أن الحكم يخص الذي يخاف عدم العدل ولا يستطيع النفقة بالقسط على عياله ،فضلا عن الأثر الجمالي الذي تركته في ذهن السامع حيث جعلته يعمل فكره ويلفت انتباهه إلى ذلك المعنى المخفي وراء المعنى الظاهر وبهذا فقد أحدثت حركة ذهنية سريعة في ذهن المتلقي جعلته ينتقل بين المعنيين ويكتشف بنفسه المعنى الحقيقي.

وجاءت أيضا التورية في الآية رقم (04) في لفظ "نحلة"، حيث استخدم الله عز وجل هذه الكلمة وهي تحمل معنيين فالمعنى اللغوي لها هو: "عطية على سبيل التبرع، وهو أخص من الهبة إذ كل هبة نحلة، وليس كل نحلة هبة، واشتقاقه فيما أرى أنه من النحل نظرا منه إلى فعله، فكأن نحلته: أعطيته عطية النحل".[2] وهذا هو المعنى القريب الذي يفهم أي أن النحلة هبة وعطية من الزوج لزوجته وهو حق شخصي لها ولا يجوز لأحد أخذ هذا الحق منها، أما المعنى الآخر لهذا اللفظ والمراد هنا هو الدين والفريضة التي فرضها الله عز وجل على الرجل لإعطاء المرأة مهرها، فهو شرط من شروط الزواج يقول الرازي:" وإنما فسروا النحلة بالفريضة، لأن النحلة في اللغة معناها الديانة والملة والشرعة والمذهب، يقال فلان ينتحل كذا إذا كان يتدين به ونحلته كذا أي دينه ومذهبه".[3] بمعنى أن الله عز وجل أمر الزوج بأن يعطي زوجته مهرها لأنه حق من حقوقها المفروضة التي شرعها الدين الإسلامي، وهذا من أجل أن نبني العلاقة القوية بينهما على التراضي والتسامح ،فلا أحد يأخذ حق الآخر وكل شيء يكون بالرضا وطيب النفس والارتياح ولذلك قال تعالى: ﴿ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص 584.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 795.

[3] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج3، ص 492.

بِالْمَعْرُوفِ ﴾.[1] إذن فالله عز وجل يؤكد على ضرورة إعطاء هذا المهر للمرأة لكن عن طريق التراضي والتسامح فلا يكون بالانتزاع والمخاصمة لأن هذا يسبب المشاكل بين الزوجين ويقلل من الود والرحمة بينهما.

وفي استخدام هذا اللفظ حكمة يعلمها المولى عز وجل لكي يبين للناس دينهم وشريعتهم وأنه من اتبع أوامره وفرائضه فقد اتبع الدين، فاختيار هذا اللفظ بدلا من لفظ آخر يدل على أنه يحمل دلالات أوسع ويعبر عن المعنى بقوة أكثر فهو لا يعبر عن معنى الإعطاء والهبة فقط بل تعدى ذلك إلى معنى أبعد وهو الوجوب والفريضة والالتزام بالدين الذي يقوم على التسامح والتراضي. فكان لهذا اللفظ دور في توضيح المعنى المراد ونفي ما كان سائدا في الجاهلية من هضم حقوق النساء واستضعافهن بشتى الطرق، لهذا كانت التورية هنا قد وضحت المعنى وبنيته في صورة بليغة فيها معاني قوية وقد أدت إلى إضفاء قيمة جمالية على المعنى لأن اللفظ يحمل معنيين وكلاهما محتمل لكن هناك معنى أقوى وأبلغ وهو المعنى المخفي أو البعيد ،فكان التفكير المطول والدقة لازمين لمعرفة أي المعنيين هو المقصود والمراد من الآية الكريمة.

في الآية (21) وردت التورية في لفظ "أفضى"، الذي يحتمل معنيين فالمعنى الأول هو الظاهر والقريب لأن أفضى هو فعل يدل على الفضاء والسعة والوصول إلى الشيء لأنه مشتق من الفضاء إذ يقول الرازي: "أصل أفضى مشتق من الفضاء الذي هو السعة: يقال فضا يفضوا وفضاءا إذا اتسع قال الليث: أفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه"[2]. بمعنى أن الفضاء إلى شيء ما هو الوصول إليه لكن المعنى البعيد لهذا اللفظ والذي أراده الله عز وجل فهو معنى أوسع وأشمل يعبر عن كل ما في الحياة الزوجية من مودة ورحمة وعواطف سامية فلا يستطيع الرجل أن يأخذ ما منحه لزوجته بعد أن عاش معها كل هذه المدة من الزمن، وهذا ما يجعل هذه العلاقة الموجودة بينهما علاقة قوية ومتينة تصل إلى حد القداسة وهي ما وصفها الله تعالى بالميثاق الغليظ في كتابه العزيز

إذن فهذا الميثاق لا يمكن التخلي عنه أو التهاون فيه لمجرد بعض الخلافات، بل يجب التريث وعدم التسرع في أخذ القرارات وهذا هو المعنى الذي أراد سبحانه وتعالى أن يوضحه في الآية، لذلك استخدم هذا اللفظ بدل أن يستخدم لفظا آخر يعبر عن خلوة الرجل بالمرأة لأن الإفضاء هو كناية عن الخلوة والجماع، لكنه لم يعبر عن

---

[1] النساء، الآية 25.

[2] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص15.

المعنى بهذه الألفاظ لأن الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة هي أوسع من هذا بكثير وهي تحمل في طياتها مودة ورحمة ومشاعر جد سامية حيث يقول سيد قطب: "كل هذا الحشد من التصورات والظلال والإنداء والمشاعر والعواطف يرسمه ذلك التعبير الموحي العجيب: (وقد أفضى بعضكم إلى بعض).. فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى الصغير، ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع، وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من صور الماضي، وذكريات العشرة في لحظات الفراق الأسيف"[1]. ومن الواضح أن لفظ الإفضاء هنا قد خرج عن معناه الخاص والذي يعبر عن تلك العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة التي تنتهي في مدة قصيرة ،ليعبر عن مفهوم أوسع وأشمل يفهم منه أن هذا الميثاق حقا هو غليظ لا يجب لأحد من الأزواج أن يستهين بحرمته.

لذلك فقد استخدم الله عز وجل هذه التورية من خلال هذا اللفظ من أجل التأكيد على ضرورة احترام ميثاق الزواج وعدم التهاون به ،لأنه أساس لبناء أسرة سليمة مترابطة وبها يبنى المجتمع المترابط أيضا. لأن الأسرة هي النواة الأساسية في تكوين المجتمعات، وقد تم هذا التأكيد في صورة لطيفة دون أن يذكر اللفظ الصريح وهو "الجماع" لأنه لفظ مستقبح فورّى عنه بلفظ ذو دلالات واسعة وشاملة، فكانت هذه التورية بليغة جدا وفيها جمالية بالغة تترك في نفسية المتلقي أثرا جميلا تنقله من معنى ضيق إلى معنى أوسع منه، من خلال استبدال لفظ مكان لفظ آخر، وبهذا تحققت وظيفة التورية في تأكيد وتوضيح المعنى.

وردت التورية أيضا في الآية (29) في لفظ "حجوركم" ،وذلك في سياق ذكر المحرمات من النساء التي بيّنها الله عز وجلّ في قوله: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ .فقد استخدم المولى عز وجل لفظ "حجوركم" الذي يحتمل معنيين، فالمعنى الأول لهذا اللفظ هو المعنى اللغوي الظاهر الذي يدل على حجر الإنسان الجالس لأن "الحجور جمع حجر وهو ما يحويه مجتمع الرجلين للجالس المتربع" [2]. وهذا هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من ظاهر الآية، في حين أن المعنى الذي أراده الله عز وجل هو المعنى المخفي وهو أعمق وأوسع من المعنى الظاهر فهو يدل على الكفالة والحضانة والتربية التي يمنحها الرجل لابنة زوجته منذ صغرها، فالزوج غالبا ما يتولى رعاية هذه الطفلة والنفقة عليها فيكون بمثابة أب لها وهي بمثابة ابنة له "والمراد به هنا معنى مجازي وهو الحضانة والكفالة، لأن

[1] سيد قطب،في ظلال القرآن، ج1، ص607.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص298.

أول كفالة الطفل تكون بوضعه في الحجر، كما سميت حضانة، لأن أولها وضع الطفل في الحضن"[1]. وهذا ما يجعل هذه الربيبة محرمة على زوج أمها لأنها تربت في حضنه وحجره كما يتربى أولاده.

وهذا التحريم يدل على ضرورة احترام العلاقات الأسرية أثناء الزواج ،لأن هذه العلاقات يجب أن تبقى علاقات احترام وعطف ورعاية فليس من الصواب إفساد هذه العلاقات بما يمكن أن تتعرض له خلال الزواج من خلافات ومشاكل تؤدي إلى فقدان الإحترام والتوقير بين الأقارب والأرحام.

وقد كان لاستخدام هذا اللفظ بدل لفظ آخر للتعبير عن المعنى المراد دور في توضيح المعنى وتبيان هذه العلاقة العاطفية التي فيها رعاية وكفالة بين الربيبة وزوج أمها، وذلك من خلال إخفاء المعنى الحقيقي وإظهار المعنى القريب، وقد تركت هذه التورية أثرا جماليا على المعنى حيث جعلت للفظ الواحد معان متعددة وجعلت المتلقي يبحث ليكتشف المعنى المراد إيصاله من خلال الآية. لأنه من دون تفكير وتركيز سيظن أن المعنى الأول هو المراد.

في الآية (35) في لفظ"بينها" ويدل على اللفظ على معنيين أحدهما هو المعنى الظاهر وهو معنى لغوي فقد جاء في لسان العرب" بين: البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل،بان يبين بينا وبينونة وهو من الأضداد"[2]. وجاء أيضا "بين: موضوع للخلالة بين الشيئين ووسطهما"[3]. حيث يفهم من هذا اللفظ أن معناه هو معنى الظرفية أي أن "شقاق بينهما" تدل على الخلافات والصراعات التي تحدث بين الزوج والزوجة والتي تؤدي بهما إلى الطلاق والانفصال، لكن المعنى البعيد لهذا اللفظ وهو المراد من كلامه تعالى فهو البعد والفراق الذي ينتج عن الشقاقات بين الزوجين ،وذلك لأن الشقاق أصله شقق فقد أضيف المصدر إلى الظرفية ولهذا أزيلت الظرفية عن بين وأصبحت اسما وليس ظرفا وتعني الفراق، قال القرطبي: "وقيل إن بين أجري مجرى الأسماء وأزيل عنه معنى الظرفية، إذ هو بمعنى حالهما وعشرتهما، أي وإن خفتم تباعد عشرتهما وصحبهما"[4]. وهذا يعبر عن البعد والفراق الذي سيحدث بين هذان الزوجان من بعد الشقاق الحاصل بينهما

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص298.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص62.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص156.

[4] القرطبي د أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م، ج5، ص175.

لذلك فالله عز وجل أمر بضرورة الصلح بينهما ،وذلك ببعث حكمين للصلح بينهما والوصول إلى حل النزاعات والخلافات الحاصلة بينهما لذلك فقد استعمل المولى عز وجل هذا اللفظ لما يحمله من معنى الاتساع الموجود بين الزوجان اللذان هما النواة التي تقوم عليها الأسرة المترابطة والمجتمع المتماسك.

وقد عبر الله عز وجل بلفظ" بينهما " الذي يبدو من ظاهره أنه يدل على الظرفية ،لكنه تخطى هذا المعنى إلى أبعد من ذلك ليعبر عن النتائج السيئة التي يؤدي إليها الخلاف والنزاع الدائم بين الزوجين، ولهذا استخدم الله سبحانه وتعالى هذا اللفظ ووري عن المعنى الصريح ليجعل المتلقي يكتشفه بنفسه ويبحث عن المعنى المراد. وقد كان دور هذه التورية هو توضيح المعنى والتأكيد على ضرورة المحافظة على هذه المؤسسة الأسرية التي يبنى عليها المجتمع وتنشأ منها الأجيال الصاعدة، فالمولى عز وجل في كل مناسبة يذكر الناس ويبين لهم قيمة هذه العلاقة المتينة بين الزوجين وينبه من عدم التهاون في إفسادها، بل ويدلهم على الحلول والوسائل التي تمكنهم من إنقاذ الأسرة من التفكك والانهيار، لأن ذلك حتما سيؤدي إلى التشتت والتفرقة وتحطم تلك المؤسسة التي يبنى عليها المجتمع.

وقد كان لاستخدام هذه التورية في الآية الكريمة أثرا جماليا بالغا جعلت منها صورة بليغة في التعبير ،وذلك من خلال حجب المعنى المراد بمعنى قريب يتناسب مع سياق الآية، فكان لابد من إعمال الفكر وإطالة النظر في سياق الآية لمعرفة وإدراك المعنى الحقيقي الذي أراده الله عز وجل بل وأراد التأكيد عليه وفي إخفاء هذا المعنى تكمن جمالية الصورة وبلاغتها لأنها تجعل القارئ متشوقا لمعرفة المعنى الآخر من اللفظ الذكور.

ووردت التورية أيضا في الآية رقم (43) في لفظ "لامستم" وهذا اللفظ يدل على معنيين محتملين فالمعنى الأول القريب هو المعنى اللغوي وهو:« اللمس: إدراك بظاهر البشرة، كالمسّ ويعبر به عن الطلب»[1]. ويعني أن معنى الملامسة هنا هي الملامسة السطحية لجسد المرأة. ولكن لفظ "لامستم" في هذه الآية يدل على الجماع والدخول بالمرأة يقول الطاهر بن عاشور: «فالمحمل الصحيح أن الملامسة كناية عن الجماع»[2].وهذا يعني أن فعل الملامسة هنا يدل على المعنى المخفي وراء المعنى الظاهر لأنه يعبر عن فعل الجماع ،ولم يذكر الله عز وجل هذا

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص747.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص67.

اللفظ لاستقباحه وعدم استحسانه يقول سيد قطب: «والذي نرجحه في معنى (أو لامستم النساء) أنه كناية عن الفعل الذي يستوجب الغسل.» [1]، ونجد أن لفظ "الملامسة" قد ورد في القرآن الكريم ودل على الجماع في قوله تعالى:﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾[2] وقال أيضا:﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾،[3] وخصص لفظ الملامسة هنا للدلالة على الجماع، لأن اللمس في حقيقته هو المس باليد فعبر عنه بالجماع على سبيل المجاز.

وقد اختار المولى عز وجل هذا اللفظ للتعبير عن الأسباب التي تجعل الإنسان غير طاهر مما يتوجب عليه الابتعاد عن الصلاة إلا بعد الطهارة بالوضوء أو التيمم ،وفي هذا تنبيه إلى ضرورة المحافظة على الصلاة مهما كانت الظروف والحالات، ويؤكد الله تعالى للناس بأن الصلاة فرض عليهم ويجب التطهر من أجلها وترك كل ما يفسد الوضوء.

وهنا تكمن بلاغة هذه التورية إذ أنها زادت المعنى قوة ووضوحا من دون تكلف كما أنها جعلت المتلقي يخوض في باطن الكلمات ليصل إلى المعنى الحقيقي المستتر وراء المعنى القريب ،وهذا ما يجعل القارئ يحس بالمتعة الذهنية وهو يبحث ويكتشف المعنى المراد. فمن خلال لفظ " لامستم" ينتقل التفكير من معنى اللمس الظاهر أو اللمس المعروف باليد أو بشيء آخر إلى المعنى الأوسع والأشمل من ذلك الذي يعبر عن الحدث الذي يوجب الاغتسال والطهارة من أجل الصلاة، وبهذا حدثت نقلة ذهنية سريعة بين معنيين مختلفين فجعلت المتلقي يغوص في أعماق الكلمة ويكتشف معانيها المخفية.

وجاءت التورية أيضا في الآية رقم (46) وذلك في لفظ "اسمع غير مسمع" ففي هذه الآية دلالة على ما كان يبدر من المشركين أثناء تعاملهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم من سوء أدب وسوء أقوال، حيث كانوا يواجهونه بالكلام السيئ ينطقون لكنهم لا يصرحون به مباشرة بل يورّون عنه بألفاظ أخرى ذات دلالات حسنة ومثال ذلك هنا هو لفظ "غير مسمع"، فقد كان المشركون يتلفظون بهذا القول مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتمل معنيين أحدهما معنى للذم والآخر معنى للمدح، يقول سيد قطب: " ففي ظاهر اللفظ أنهم يقولون: اسمع

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص669.

[2] البقرة، الآية 237.

[3] المجادلة، الآية 03.

غير مأمور بالسمع وهي صيغة تأدب" [1] ، أي أنهم يتظاهرون بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فينطقون معه بكلام ذو وجهين، قال الزمخشري: " ويحتمل المدح، أي اسمع غير مسمع مكروها، من قولك، أسمع فلانا فلانا إذا سبه" [2]، ومعنى هذا أنهم كانوا يوهمون النبي صلى الله عليه وسلم والقوم أنهم قصدوا ظاهر القول فيقولون له صلى الله عليه وسلم أنك غير مأمور بالسمع إذا لم ترد السماع أو إذا سمعت مكروها فأنت غير ملزم بالسماع، ولكن وراء هذا المعنى الظاهر كانوا يخفون المعنى الحقيقي والمقصود من قولهم ، ذلك لأنهم حرفوا الكلام واستخدموه في غير معانيه الحقيقية لأن المعنى المراد الذي كانوا يقصدونه هو الدعاء على النبي صلى الله عليه وسلم بالصم وعدم السماع ذلك لأنهم لم يكونوا يريدونه أن يكمل نشر رسالته وأن يدعوا الناس إلى الدخول في دين الله الحنيف. فمن شدة كرههم له كانوا يتمنون له الصمم، ويرمونه بكلام مسيء، ومعنى هذا: "أي أن لا يسمع صوتا من متكلم بأن يصير أصم. وأن لا يستجاب دعاؤه"[3]. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ ﴾، أي أن نيتهم لم تكن صادقة بل كانوا ينوون الإساءة إلى النبي والتقليل من شأنه، لذلك استعملوا هذا اللفظ الذي يحتمل أن يكون دعاءا للنبي كما يحتمل أن يكون دعاءا عليه بالصمم وعدم السماع،يقول الراغب الأصفهاني "كانوا يقولون ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام يوهمون أنهم يعظمونه، ويدعون له وهم يدعون عليه بذلك"[4]. وهذا من أجل أن يظهروا أمام النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مؤدبة وحسنة ومن أجل إرضاءه وإرضاء القوم، ولكنهم في أنفسهم كانوا ينوون السوء والضرر له.

ونجد في هذه التورية براعة في إخفاء المعنى الحقيقي وإظهار معنى آخر قريب يتلاءم مع سياق الكلام وذلك كي لا ينتبه السامع للمعنى البعيد المقصود ،وأن يبقى تفكيره في حدود المعنى القريب وإيهام السامع بأنه المراد من كلامهم.

وفي نفس الآية ذكر لفظ "راعنا" أيضا وهو ما استخدمه اليهود في حديثهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو محتمل لمعنيين فالمعنى الأول الظاهر الذي ورّى به المشركون عن مقصودهم هو معنى الرعاية والحفظ

---

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص676.

[2] الزمخشري، الكشاف، ص239.

[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص75، 76.

[4] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص426.

والرقابة فأوهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يريدون منه رعاية ورقابة وأن ينظر إلى حالهم لأنهم أهل الكتاب وليس كباقي القوم، "وراعنا: أي انظر إلينا نظرة رعاية لحالنا أو نظرة اهتمام لوضعنا"[1] وقيل أيضا: "ظاهره طلب المراعاة، أي الرفق"[2]، لكن ليس هذا هو المعنى المقصود الذي أراده المشركون إنما كان مرادهم سب النبي صلى الله عليه وسلم ورميه بالشتيمة والكلام المسيء فكلمة "راعنا" هي كلمة عبرانية تستخدم للسب ولذلك كان قصدهم "رمي النبي –صلى الله عليه وسلم– بالرعونة والسفه ويطعنون بذلك في الدين الذي يدعوا إليه والحق الذي ينفذه"[3]. وذلك قصد الاستهزاء منه والتقليل من شأنه ومن عزيمته في إكمال رسالته التي جاء بها من عند الله ،فكان لاستخدام هذا اللفظ دور في إخفاء المعنى الذي كانوا يريدونه والتظاهر أمام الناس بالأدب والاحترام فمن لا يدقق النظر جيدا في مفهوم هذه الألفاظ فسيظن أن المعنى منها هو ما ظهر، لكن مع تدقيق النظر يفهم المقصود ويدرك المعنى الحقيقي من الكلام ،وهذه هي بلاغة التورية وجماليتها حيث أن المتكلم يستطيع إخفاء المعاني التي يريد التعبير عنها وإظهار معان أخرى مغايرة لما هو مقصود.

وردت التورية في الآية (57) في لفظ "ظلا"حيث استخدم الله عز وجلّ هذا اللفظ الذي يحتمل معنيين وذلك لوصف جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات، فالمعنى الأول الذي يحمله هذا اللفظ هو المكان البعيد عن الشمس الذي يتظلل فيه الناس، ومعناه "الظلّ: ضد الضّح وهو أعم من الفيء،فإنه يقال ظلّ الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس: ظل ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس"[4]، فقد يظن السامع أن المقصود من كلامه تعالى هو هذا المعنى القريب الذي يفهم من ظاهر اللفظ، لأن الظل هو ضد حرارة الشمس التي لا تطاق وهو ما يبحث عنه الإنسان عند الحرارة الشديدة.

ولكن هذا اللفظ يحمل معنى آخر في الآية الكريمة وهو ما أراده الله عز وجل فهو يعد المؤمنين الصالحين بأن يدخلهم جنات النعيم التي يجد فيها المؤمن كل ما لذ وطاب فكل النعمة والرفاهية والعزة سيجدها المؤمن في جنته، وقد اختار المولى تعالى لفظ الظل لما فيه من معاني ودلالات كثيرة توحي بأن المؤمن سيكون في عزة وحماية

---

[1] سيد قطب، في ظلال التنوير، ج2، ص676.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص76.

[3] محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، ج4، ص1702.

[4] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص535.

دائمة في ظل الجنة الذي لا ينفذ، وقد جاء هذا الترغيب والوعد بالجنة بعد تهديد ووعيد الكافرين بأن الله أعد لهم عذابا أليما ونار جهنم خالدين فيها، لذلك جاء لفظ الظل مناسبا لما يحمله من متعة ونعمة لكي ينفي عن المؤمن العذاب والخزي والخوف من يوم القيامة، لأنه يعبر عن كل المحاسن واللذّات التي سيتنعم بها في الجنة وسيبقى تحت ظلها خالدا أبدا، يقول الطاهر بن عاشور: " وقوله: وندخلهم ظلا ظليلا، هو من تمام محاسن الجنات، لأن الظل إنما يكون مع الشمس، وذلك جمال الجنان ولذة التنعم برؤية النور مع انتفاء حره"[1]. وهذا تأكيد من الله عز وجل على أن الجزاء من جنس العمل فمن يكفر بالله ويشرك به سيكون جزاءه جهنم ،ومن يؤمن ويعمل صالحا سيكون جزاءه الجنة والظل الأبدي والاستقرار الدائم.

وهذا هو دور التورية هنا فمن خلال هذا المعنى الواسع والعميق الذي يحمله لفظ "الظل" تم التأكيد على المعنى بقوة وإعطاءه شمولية أكثر تجعل السامع يغوص في أعماق اللفظ ويكتشف أكثر المعاني التي يجهلها، خاصة عندما ذكر لفظ الظل مع الجنة، فكل ما تحمله الجنة من صفات ولذات أضيف لها الظل بكل ما يحمل من ارتياح خاطر وهدوء وأمان فشكل هذا اللفظ صورة بليغة فيها جمالية رائعة تؤثر على الأذهان وتزيد من قوة المعنى، كما أنها ساهمت في توسيع المعنى وإعطاءه عمقا آخر.

كما يمكنا القول أن اختيار الله عز وجل للفظ "الظل" بدل آخر ذلك لأنه يعبر عن المعنى المراد بشكل أقوى خاصة عند إضافة الصفة المشتقة منه وهي "ظليلا" ،إذ أن هذه الصفة أضافت تأكيدا وتقوية للمعنى الأول ليؤكد الله عز وجل أن ظل الجنة ونعيمها هو أوسع من ظل الحياة الدنيا، فظل الحياة زائل أما ظل الجنة فهو دائم وأبدي، ولهذا كان هذا التعبير بليغ جدّا وموحي بكل ما في الجنة من نعم، فأخذ أذهان السامعين إلى رحاب الجنة وظلالها وترك فيهم أثر الإعجاب والارتياح لما سيلقوه في الجنة من لذات.

في الآية رقم (94) وردت التورية في لفظ "ضربتم" حيث استخدم الله عز وجل هذا اللفظ لاحتماله معنيان، أحدهما ظاهر من خلال اللفظ، حيث يتبادر إلى الذهن أن المقصود هو الضرب أي فعل الضرب المعروف، "الضرب: إيقاع شيء على شيء"،[2] والفعل الذي يقوم على حركة باليد أو بشيء آخر، وقال الرازي:

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 90.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص 505.

"وأصله من الضرب باليد"[1]، لكن هذا المعنى القريب ليس هو المراد من لفظ الضرب في هذه الآية انما أراد به الله تعالى المعنى البعيد الذي يدل على المسارعة في الجهاد في سبيل الله تعالى، وضرب الأرض بالسير فيها وقيل "والضرب: السير"[2]. إذن فقد تخلى لفظ الضرب عن معناه الأول ليدل على معنى آخر مرتبط بالجهاد والمسارعة إليه.

وقد أراد الله عز وجل من خلال هذه التورية ومن خلال هذا اللفظ أن يؤكد للمؤمنين بأن قتال المشركين والجهاد في سبيل الله من أجل رفع راية الإسلام واجب عليهم جميعا ، ويجب أن لا يتسرعوا في الحكم على من يلقى إليهم السلام لأن مهمتهم هي نشر الدين وقتال المشركين ،ومن يلقي السلام عليهم فهو دليل على أنه مسلم.

ومن خلال لفظ الضرب في الآية الكريمة تبين أنه يدل على المشي والمسارعة والهجرة في سبيل الله، لما يحمله هذا الجهاد من قيمة عند الله تعالى، وكان هذا حث للمسلمين لأن يلبوا واجب الجهاد وينشروا الإسلام في البلاد ويحاربوا الشرك والمشركين مع ضرورة التحلي بالصبر والحكمة والعزيمة والإرادة.

ولهذه التورية جمالية في المعنى حيث أن استخدام لفظ "الضرب" مع "سبيل الله" كان استخداما مجازيا لأنه لا يكون الضرب على سبيل الله إذ هو ظرف يعبر عن الغزو والجهاد وكان المعنى بليغا ،وجعل المتلقي يفكر في المعنى الحقيقي من لفظ الضرب الذي أخفي وراء المعنى الظاهر.

وردت التورية أيضا في الآية (102) في لفظ "يميلون" فالمعنى اللغوي لهذا اللفظ الظاهر من خلال الآية هو العدول والانزياح من شيء إلى شيء آخر، وقد جاء في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني في تعريف الميل قوله: "الميل: العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين، ويستعمل في الجور، وإذا استعمل في الأجسام فإنه يقال فيما كان خلقة ميل، وفيما كان عرضا ميل، يقال: ملت إلى فلان: إذا عاونته"[3] .لكن هذا المعنى اللغوي وهو القريب من الأفهام ليس هو المراد من اللفظ إنما المراد هو الشد والقوة والغلبة، فمعنى الآية أنه لو يغفل المسلمون

---

[1] تفسير الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص 189.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 167.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص783 .

عن أسلحتهم وأمتعتهم أثناء الصلاة فسيشدون عليهم الكافرون ويتغلبون عليهم ويأخذون أسلحتهم، يقول الطاهر بن عاشور: "وانتصب (ميلة) على المفعولية المطلقة لبيان العدد، أي شدة مفردة، واستعملت صيغة المرة هنا كناية عن القوة والشدة"[1]. بمعنى أن لفظ الميل استخدم في هذه الآية للدلالة على الشد والقوة لأن الكافرين إذا لقوا المسلمين فسيشدون عليهم ويقتلونهم.

فكان الغرض من استخدام لفظ الميل هو توضيح المعنى للمسلمين ليدركوا الخطر الذي يحيط بهم في أوقات غفلتهم، وليدركوا كيفية التعامل في هذه الأوقات مع الصلاة و القصر فيها، وعبر الله تعالى بلفظ الميل لأنه يحمل معنى واسع أكثر من لفظ الشد أو القوة، وذلك لكي يدرك المسلمون الخطر الذي يشكله عليهم المشركين في حال مباغتتهم، فنبههم الله تعالى بأن لا يذروا سلاحهم وأن لا يغفلوا في أوقات الصلاة، وأن يكونوا صفا متماسكا وجماعة واحدة في محاربة هذا العدو الذي يريد غلبتهم.

وقد أدت التورية من خلال لفظ "يميلون" دورا في إيضاح المعنى وتقويته وإعطاءه دلالات أخرى أكثر اتّساعا وإيحاءا بالمعنى الحقيقي المراد في الآية الكريمة.

وردت التورية في الآية رقم (174) في لفظ "برهان"، فالمعنى اللغوي لهذا اللفظ هو "البرهان: بيان للحجة، وهو فعلان مثل: الرجحان والثنيان، وقال بعضهم: هو مصدر بره يبره: إذا ابيضّ"[2]. ومعناه أن البرهان هو الحجج التي يقدمها الشخص ليؤكد موقفه ويثبت صحته، وجاء أيضا في بصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي "معناه: بيان الحجة وقيل هو مصدر بره يبره كسمع يسمع إذا ثاب جسمه بعد علة... والبرهة بالضم والفتح: الزمان الطويل أو مطلق الزمان، أو مدة منه، فالبرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبدا لا محالة"[3]. ولذلك فالمعنى الظاهر من لفظ البرهان هو هذا المعنى القريب المتبادر إلى الذهن، أما المعنى البعيد الذي أراده الله عز وجل من لفظ البرهان هو القرآن الكريم لأنه يدعوا الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، "وجاء البرهان في القرآن على ثلاثة أوجه... الوجه الثالث: بمعنى القرآن والنبوة: [يا أيها الناس قد جاءكم برهان

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 188.

[2] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص121.

[3] الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص242.

من ربكم] أي كتاب ورسول"[1]. ومن خلال اللفظ أراد الله عز وجل أن يؤكد أن القرآن الكريم هو برهان من عنده وأن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو من أتى بهذا البرهان لنشره في الناس، وقد اشتمل على الحجج والدلائل التي تؤيد الحق وتبطل الباطل ولذلك فهو الحجة الأولى وهو النور المبين فهو الذي يبين الطريق الصحيح للناس الوصل إلى الله أي طريق الإسلام والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليكم نورا مبينا﴾، كما يدل لفظ البرهان على النبوة لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو بمثابة برهان وحجة من عند الله تعالى، يؤكد على أن الأنبياء هم رسل من عند الله أتوا لينشروا الدين الإسلامي ويبينوا الحق ويقيموا الحجج والبرهان عليه.

وقد اختار المولى عز وجل لفظ البرهان لأن فيه تقوية للمعنى وتأكيد على أن القرآن والنبي برهان من عند الله لا جدال فيه، وبالتالي فكان لهذه التورية بلاغة تكمن في التأكيد على المعنى وإظهار معانيه الخفية فما جاء إلى الناس من القرآن أو الحديث يجب العمل به وإتباعه لأن طريق للحق.

ومن جمالية هذه التورية في الآية الكريمة، أنها زادت المعنى قوة ووضوحا وجعلت المتلقي يغوص ويتعمق في باطن الكلمات بحثا عن المعنى المراد الحقيقي، كما أنها جاءت غير متكلفة وهذا ما يدل على قدرة التورية على إخفاء المعاني وجعل الألفاظ تحمل دلالات مختلفة ومتسعة.

وبالتالي نستنتج مما سبق أن سورة النساء من بديع صنع الله سبحانه وتعالى في الإعجاز، إذ أن أداء المعاني فيها يتطلب ما أورده عز وجل من بديع الألفاظ المناسب للمعاني التي يتطلبها المقام، ولا شك أن ورود التورية فيها يؤكد على جمالية الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم بصفة عامة وفي سورة النساء بصفة خاصة، لأن التورية تعتبر من أهم السمات البلاغية في القرآن الكريم حيث تزيد المعنى قوة ووضوحا إذ أنها معلم من معالم البلاغة العربية ولها دور في تحسين الكلام وتجميله وتزيينه، ولذلك نجد الإحساس الجمالي في هذه السورة يقوم على عنصر التصوير والتجسيم، حيث تجعل القارئ لهذه السورة يتدبر ويتأمل ويفكر حتى يصل إلى المعنى المقصود.

[1] الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج2، ص242.

الخاتمة

خاتمة

آن لنا أن نختم هذا البحث ونضم بين أجزائه، بعد أن قضينا فيه كتابته وجمعه زمنا من الوقت، فكان بمثابة رحلة قصيرة قضيناها ونحن نحضّر له ونجمع بين أجزائه، التي كانت شتاتا مفرقا، وما زاد من استمتاعنا في هذه الرحلة هو إيماننا القوي بأنه من أفضل وأنفع ما يقضي فيه الإنسان وقته، هو دراسة كتاب الله العزيز وتدبر معانيه وفهم كلماته وألفاظه، لنصل في النهاية إلى ختام رحلتنا مع هذا البحث، بعد أن أفضينا إلى استخلاص مجموعة من النتائج التي سنوجزها فيما يلي:

1- البلاغة العربية القديمة مزيج من الفنون المختلفة ومحاسن الكلام، المستقاة من كلام العرب البلغاء وشعر الفحول القدماء، ولا شك أن ما زادها زينة وجمالا ومنحها اتّساعا وارتقاءا هو الخطاب القرآني بكل ما يحتويه من أساليب بلاغية متميزة.

2- التورية فن بديعي من فنون البلاغة العربية القديمة، وجدت في كلام السلف وفي الحديث النبوي الشريف وتناولها الأسلوب البلاغي القرآني.

3- رأينا أنه رغم قدم هذا الفن البديعي إلا أنه لم يلق اهتماما كبيرا من طرف الدارسين والباحثين، كغيره من الفنون الأخرى.

4- أكّد البحث على أن التورية كانت في بادئ الأمر تطلق عليها أسماء مختلفة كالإيهام والمغالطات المعنوية والتوجيه وغيرها من التسميات.

5- تقوم التورية على الإتيان بلفظ واحد يحتمل معنيين، أحدهما قريب وظاهر، والآخر بعيد وغير ظاهر ويكون هو المقصود من الكلام، وقد تكون هناك قرينة تدل على المعنى البعيد فتهيأه وترشحه وتبينه.

6- تنقسم التورية إلى أربعة أقسام: مجردة، مرشحة، مبينة، مهيأة، وهناك من اكتفى بتقسيمها إلى قسمين فقط.

7- لاحظنا أن فن التورية يتشابه مع بعض الفنون البلاغية الأخرى من مثل الكناية، والمجاز والتضاد ... وغيرها لأن كل من هذه الفنون يقوم على معنيين.

8- وجدنا أن قضية التورية في القرآن الكريم مختلف حولها، فهناك من يؤكد وجودها وهناك من ينفي ذلك.

9- اكتشفنا أن التورية من بين الفنون البلاغية التي تزيد المعنى اتّساعا وقوة وجمالا وذلك من خلال دلالة اللفظ والواحد على معنيين مختلفين وبهذا تساهم في إثراء اللغة وتوسيعها.

10- فن التورية كغيره من الفنون البلاغية الأخرى تؤدي قيمة جمالية في الكلام، فتحسنه وتقويه وتزيده اتّساقا وانسجاما، فتجعل المتلقي يحس بالمتعة والتذوق.

11- كما تمكن المتكلم من إخفاء المعاني وإظهار معاني أخرى قريبة، فلا يدرك السامع أي المعنيين يقصد المتكلم إلا بعد تفكير وطول نظر.

12- سورة النساء من بين السور القرآنية التي أجملت مجموعة من التفصيلات والأحكام الخاصة، والتنظيمات والمعاملات وبناء الشخصية المسلمة القوية، والدفاع عن حقوق المستضعفين من النساء والأيتام، وما زاد من اتساق معانيها وترابطها هو استخدام المولى عزّ وجلّ لأسلوب التورية الذي يساهم في تقوية المعنى تارة، وتوضيحها تارة، وتأكيدها تارة أخرى.

13- الأسلوب القرآني أسلوب متميز سواء في بلاغته أو فصاحته أو في إيقاعه وجماله، فنجد أن استخدامه لفنون البديع من مثل التورية مختلف تماما عن غيره من الاستخدامات، فالتورية في القرآن الكريم هي ذلك المعنى الجميل والفن البليغ الذي يبعث في نفوسنا الأثر الخلاب والمتعة والتذوق.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتنا، ولا نزعم أننا أحطنا بالموضوع كله أو أضفنا جديدا مبتكرا له، فكل ما قمنا به هو جمع المعلومات من الكتب المختلفة والدراسات التي تطرقت إلى هذا الموضوع، فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ونرجو أن يكون جهدنا هذا مفتاحا لدراسات قادمة تتناول فن التورية وتزيح الستار عنه، وتستقي أصول الفن من نبعه الصافي النقي "القرآن الكريم".

وأخيرا نتمنى أن يكون بحثنا هذا ثمرة مفيدة للمكتبة وجميع من يطّلع عليه والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

أولا: المصادر

1- ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر، دط، دت.

2- ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، تح:حقي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، دط، دت، ج2.

3- ابن القيم، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، دط، لبنان، دت.

4- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج2، الطبعة الأخيرة، 2004م، ص 39.

5- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تح مروان العطية، محسن خزابة، وفاء تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1995م، 1415هـ، ج1.

6- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 1407هـ، ج4.

7- أحمد الهاشمي بك، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، د ت.

8- أحمد مطلوب، فنون بلاغية. البيان، البديع، دار البحوث العلمية، الكويت،ط1390،1هـ، 1975م.

9- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم البديع، دار العالم الثقافية، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 2، 1418هـ، 1998م.

10- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دب، دط، 1394هـ، 1974، ج3.

11- جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، 1988م.

12- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430 هـ، 2009م.

13- الزركشي، البرهان في علم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، لبنان، ط1376،1هـ، 1957م، ج3 ، ص 445.

14- السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2000م.

15- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ، ج1.

16- الشافعي، أسباب نزول القرآن، تح: عصام عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1422هـ، 1992م ج1.

17- الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الربعة، مجلد أول، 1402هـ، 1981م، ج1.

18- صالح أحمد الشامي، الظاهرة الجمالية في الإسلام، المكتب الإسلامي، ط1، دب، 1986م.

19- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه، أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، دط، دت، ج3.

20- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط8، 1987م، ج3.

21- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية ، بيروت، دط، دس، دت.

22- عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، دب، ط1، 1403هـ، 1983م.

23- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ج2.

24- عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، علم البليغ، علم البديع، مكتبة الآداب، القاهرة.

25- العسقلاني، د أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، العجاب في بيان الأسباب، تح: عبد الحميد محمد الأنيس، دار ابن الجوزي ، دط، دب، دت، ج2.

26- العلوي، د يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط1، ج2، ج3، 1423هـ.

27- غازي عناية، هدى الفرقان في علوم القرآن، دار الشهاب، باتنة، دط، 1989م، ج1.

28- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج3، ج 10، ج 11.

29- الفيروز أبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1416هـ، 1996م، ج1، ج2.

30- القرطبي د أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م، ج5.

31- الماردیني علي بن عثمان، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من غريب، تح: ضاحي عبد الباقي، دار بن قتيبة، الكويت، دط، دس.

32- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية، تونس، دط، 1984م، ج4، ج5.

33- محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، دب، دط، دت، ج4،ج3.

34- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار بن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق،بيروت، ط1، 1414هـ، ج1 .

35- المدني علي صدر الدين بن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البديع، تح: شادي شكري النجف الأشرف، دط، 1383الهـ، 1953م، ج5.

36- المراغي محمود أحسن حسن، في البلاغة العربية، علم البديع، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 1991م.

37- مصطفى ديب البغا، محي الدين ديب مستو، الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، ط2، دمشق، 1418هـ 1998م.

38- منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، دط، دت.

39- منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، نقلا عن حدائق السحر في دقائق الشعر، رشيد الدين الوطواط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1945م.

ثانيا: المراجع

1- ابن المعتز أبو عباس عبد الله، كتاب البديع، مؤسسة الكتب الشفافية، لبنان، ط1، 1433هـ، 2012م.

2- ابن حجة الحموي، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام، المطبعة الأنسية، بيروت، دط، 1616 هـ.

3- أبو العدس يوسف، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999م.

4- أبو شهبة محمد بن سويلم، المدخل لدراسة القرآن الكريم،ن مكتبة السنة، ط2، القاهرة، 1423هـ، 2003م.

5- الجرجاني عبد القاهر، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1423هـ، 2002م.

6- حامد أبو زيد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط7، 2008م.

7- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الأبحاث، ط1، دب، 2007م.

8- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

9- دراز محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، قدم له: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، دط دب 1426هـ، 2005م.

10- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.

11- سميح أبو مغلي ورفاقه، دروس في علم العربية، دار الفكر ،عمان، الأردن، ط1، 2000م.

12- السيوطي جلال الدين، المزهر في علم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ج1.

13- عائشة حسين فريد، وشي الربيع بألوان البديع في ضوء الأساليب العربية، دار قباء، القاهرة، ط1، 2000م.

14- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتب، د ب، ط 3، دت.

15- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1992م، ج2.

16- عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1419هـ، 1999م.

17- عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم، تساؤلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، الجزائر، د ط، د ت.

18- عبد الناصر حسن، نظرية التلقي بين ياوس وايزر، كلية الآداب، جامعة عين شمس، دار النهضة العربية، دط، دب، 2002م.

19- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم البديع، جامعة الإسكندرية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، دب، دط، 2000/1999م.

20- عبد الواسع الحميري، الخطاب والنص "المفهوم، العلاقة، السلطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1429هـ 2008 م.

21- فادي إسماعيل، الخطاب العربي المعاصر، قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة، ط 3، 1992م.

22- فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، دار النفائس، الأردن، ط12، 1429هـ، 2009م.

23- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتابة، طرابلس، لبنان، 2008م.

24- محمد الصالح خرفي، بين ضفتين، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دب، دط، 2005م.

25- محمد بركات، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م.

26- محمد بولحية، الأسلوب البلاغي في القرآن الكريم، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010/2009م.

27- محمد عبد الواحد حجازي، الإحساس بالجمال في ضوء القرآن الكريم، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية، ط1، 1998م.

28- محمد محمد طه هلالي، توضيح البديع في البلاغة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 1994م.

29- النبهان محمد فاروق، المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن، حلب، ط1، 1426هـ، 2005م.

ثالثا: المعاجم والموسوعات

1- ابن منظور محمد أبو الفضل، لسان العرب، دار صاد للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، 1992، ج1، ج2، ج3، ج5، ج7، ج8، ج13.

2- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، م 4، 1426هـ، 2005م.

3- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، دط، 1983 م، ج1.

4- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تر وتح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م ج4.

6- الزمخشري جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العالمية، لبنان، ط1، 1419هـ، 1998م.

7- الفيروز أبادي محمد، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2009م.

8- نبيل راغب، موسوعة الإبداع الأدبي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996م.

رابعا: المراجع المترجمة

1- جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، المغرب، ط1، 1991م، ط2، 1997م.

2- فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، تر: خالد محمود جمعة، المطبعة العالمية، دمشق، ط1، 1424هـ، 2003م.

خامسا: المواقع الإلكترونية

1- عبد العزيز العمار، عنوان المقال: هل يوجد في القرآن الكريم أسلوب تورية:

http://www.toarab.ws/modules.php?name=ask&file=print&qid=31

2- أم بشرى، مقال بعنوان: التورية في البلاغة، منتديات بوابة العرب:

http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=519026

فهرس الآيات والأعلام

أولا: الآيات

السورة	الآية	الرقم	الصفحة
البقرة	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾	23	07
	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾	234	16
	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	117	19
	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾	29	30
	﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ﴾	145	48
	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾	143	48
	﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾	237	79
النساء	﴿ أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾	1	62
	﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾	2	65–64
	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾	3	65
	﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾	4	66
	﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾	22	66
	﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾	37	66
	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	40	68–67

	﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾	31	68–67
	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾	48	67
	وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾	64	68
	﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	110	68
	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	152	68
	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾	26–27–28	68
	﴿ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	25	75
الأنعام	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾	60	27
	﴿ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾	124	49
الأعراف	﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾	26	56
التوبة	﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾	21	29
	﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ ﴾	108	49

	﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ﴾	21	50
يونس	﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾	92	48
هود	﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	1	22
يوسف	﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾	95	29–31 51–48
	﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾	42	50
	﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾	8	51
النحل	﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾	6	54
الإسراء	﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	23	72
طه	﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾	5	32–34 –47
المؤمنون	﴿أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾	27	48
الشعراء	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	195	50
سبأ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾	28	49
ص	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾	20	10
	﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾	47	48
الزمر	﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾	67	47
الذاريات	﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾	31	10
	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	47	36–47
الرحمن	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	5–6–	35
	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	26–27	48

المجادلة	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ﴾	3	79
القيامة	﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾	18–17	21
الإنسان	﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾	20	49
الضحى	﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾	10–9	20

ثانيا: الأعلام

اسم العالم	الصفحة
ابن أبي حاتم	65
ابن منظور	13
أبو بكر (رضي الله عنه)	28
ابن أبي الأصبع	28
ابن حجة الحموي	26
ابن رشيد القيرواني	17
ابن المعتز	27
ابن الأثير	31
أبو الطيب المتنبي	33
ابن سناء	33
ابن القيم	49
الزمخشري	32
الخليل بن أحمد الفراهيدي	26
الجرجاني	27
القاضي عبد الجبار	30
السكاكي	31

القزويني	32
السيوطي	46
الزركشي	49
العلوي	57
العسقلاني	64
الشافعي	66
الشوكاني	68
جوليا كريستيفا	12
جبور عبد النور	53
سيد قطب	63
صلاح الدين الصفدي	28
عبد العزيز عتيق	28
عائشة حسين فريد	56
عائشة (رضي الله عنها)	65
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)	67
لسان الدين بن الخطيب	30
محمد (صلى الله عله وسلم)	21
محمد فاروق النبهان	22
محمد بن عبد الله دراز	22
محمد الطاهر بن عاشور	63
مصطفى ديب	23
محي الدين ديب	23

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة

بسملة

شكر وعرفان

مقدمة..... أ-ج

مدخل: تحديد المصطلحات..... 7-23

الفصل الأول: أسلوب التورية في البلاغة العربية والقرآن الكريم

أولا: مفهوم التورية " لغة واصطلاحا"..... 25

ثانيا: نشأة التورية..... 29

ثالثا: أنواع التورية..... 34

رابعا: بلاغة التورية وعلاقتها بالفنون البلاغية الأخرى..... 41

خامسا: التورية في القرآن الكريم بين مؤيدين ومعارضين..... 47

سادسا: جمالية التورية..... 52

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لسورة النساء

أولا: تعريف سورة النساء وسبب تسميتها..... 62

ثانيا: أسباب نزول سورة النساء..... 64

ثالثا: فضائلها..... 67

رابعا: جدول إحصائي للتورية في سورة النساء..... 69

خامسا: بلاغة التورية في سورة النساء..... 71

خاتمة..... 87

قائمة المصادر والمراجع..... 90

فهرس الآيات والأعلام..... 99

الملخص

الملخص

الملخص

يتناول هذا البحث محسن من المحسنات البديعية المعنوية التي تزين كتاب المولى عز وجل، والتي تعد من أهم السمات العظيمة في أسلوبه البلاغي الرفيع، فقمنا أولا بتقديم مفهوم هذا المحسن البديعي المعنوي مع تتبع نشأته وذكرنا أنواعه بالإضافة إلى بلاغته، وما يربطه بغيره من المحسنات أو الفنون البلاغية الأخرى من كناية و مجاز وتضاد و مشترك لفظي، مع تطرقنا لذلك الجدل القائم حول وجود التورية في القرآن، ثم نأتي في الختام إلى الأثر الجمالي الذي تتركه التورية في نفسية المتلقي، وينتهي رأينا حول التورية التي تعتبر من الفنون البلاغية التي تزيد المعنى قوة واتساعا وجمالا، وذلك من خلال الدراسة التطبيقية التي قمنا بها في سورة النساء المباركة.